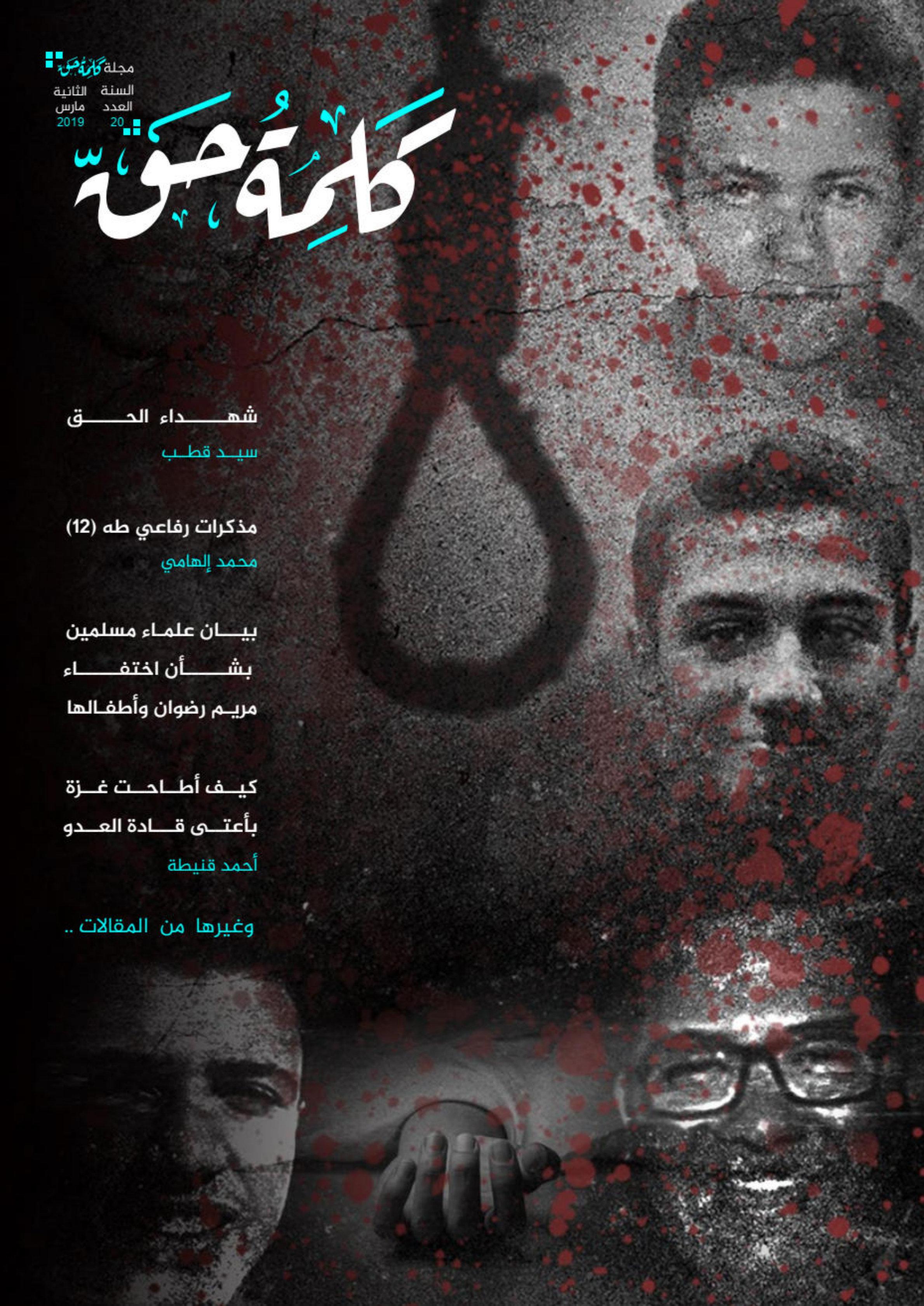

مجلة كلمة حق
السنة الثانية
العدد 20
مارس 2019
كلمة حق
شهداء الحق
سيد قطب
مذكرات رفاعي طه (12)
محمد إلهامي
بيان علماء مسلمين بشأن اختفاء مريم رضوان وأطفالها
كيف أطاحت غزة بأعتى قادة العدو
أحمد قنيطة
وغيرها من المقالات ..

محتويات العدد

العشرون ، مارس 2019

كلمة حق

klmtuhaq

www.klmtuhaq.blog

دورية ثقافية معرفية

نخبة من الكتاب والمفكرين

المشرف العام

محمد إلهامي

مدير التحرير

حامد عبدالعظيم



الافتتاحيــة .. شهداء الحق

بقلم الشهيد: سيد قطب

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)

يتكرر ذكر الصبر في القرآن كثيراً؛ ذلك أن الله سبحانه يعلم ضخامة الجهد الذي تقتضيه الاستقامة على الطريق بين شتى النوازع والدوافع؛ والذي يقتضيه القيام على دعوة الله في الأرض بين شتى الصراعات والعقبات؛ والذي يتطلب أن تبقى النفس مشدودة الأعصاب، مجندة القوى، يقظة للمداخل والمخارج.. ولا بد من الصبر في هذا كله.. لا بد من الصبر على الطاعات، والصبر عن المعاصي، والصبر على جهاد المشاقين لله، والصبر على الكيد بشتى صنوفه، والصبر على بطء النصر، والصبر على بعد الشقة، والصبر على انتفاش الباطل، والصبر على قلة الناصر، والصبر على طول الطريق الشائك، والصبر على التواء النفوس، وضلال القلوب، وثقلة العناد، ومضاضة الإعراض..

وحين يطول الأمد، ويشق الجهد، قد يضعف الصبر، أو ينفد، إذا لم يكن هناك زاد ومدد. ومن ثم يقرن الصلاة إلى الصبر؛ فهي المعين الذي لا ينضب، والزاد الذي لا ينفد. المعين الذي يجدد الطاقة، والزاد الذي يزود القلب، فيمتد حبل الصبر ولا ينقطع. ثم يضيف إلى الصبر، الرضى والبشاشة، والطمأنينة، والثقة، واليقين.

إنه لا بد للإنسان الفاني الضعيف المحدود أن يتصل بالقوة الكبرى، يستمد منها العون حين يتجاوز الجهد قواه المحدودة. حينما تواجهه قوى الشر الباطنة والظاهرة. حينما يثقل عليه جهد الاستقامة على الطريق بين دفع الشهوات وإغراء المطامع، وحينما تثقل عليه مجاهدة الطغيان والفساد وهي عنيفة. حينما يطول به الطريق وتبعد به الشقة في عمره المحدود، ثم ينظر فإذا هو لم يبلغ شيئاً وقد أوشك المغيب، ولم ينل شيئاً وشمس العمر تميل للغروب. حينما يجد الشر نافشاً والخير ضاوياً ولا شعاع في الأفق ولا معلم في الطريق..

 **هنا تبدو قيمة الصلاة.. إنها الصلة المباشرة بين الإنسان الفاني والقوة الباقية. إنها الموعد المختار لالتقاء القطرة المنعزلة بالنبع الذي لا يغيض. إنها مفتاح الكنز الذي يغني ويقني ويفيض.**

إنها الانطلاقة من حدود الواقع الأرضي الصغير إلى مجال الواقع الكوني الكبير. إنها الروح والندى والظلال في الهاجرة، إنها اللمسة الحانية للقلب المتعب المكدود.. ومن هنا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان في الشدة قال: "أرحنا بها يا بلال" ويكثر من الصلاة إذا حزبه أمر ليكثر من اللقاء بالله.



إن هذا المنهج الإسلامي منهج عبادة. والعبادة فيه ذات أسرار. ومن أسرارها أنها زاد الطريق. وأنها مدد الروح. وأنها جلاء القلب. وأنه حيثما كان تكليف كانت العبادة هي مفتاح القلب لتذوق هذا التكليف في حلاوة وبشاشة ويسر.. إن الله سبحانه حينما انتدب محمداً صلى الله عليه وسلم للدور الكبير الشاق الثقيل، قال له:

(يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥)) فكان الإعداد للقول الثقيل، والتكليف الشاق، والدور العظيم هو قيام الليل وترتيل القرآن.. **إنها العبادة التي تفتح القلب، وتوثق الصلة، وتيسر الأمر، وتشرق بالنور، وتفيض بالعزاء والسلوى والراحة والاطمئنان.**

- ومن ثم يوجه الله المؤمنين هنا وهم على أبواب المشقات العظام.. إلى الصبر وإلى الصلاة..

ثم يجيء التعقيب بعد هذا التوجيه: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِين) ..

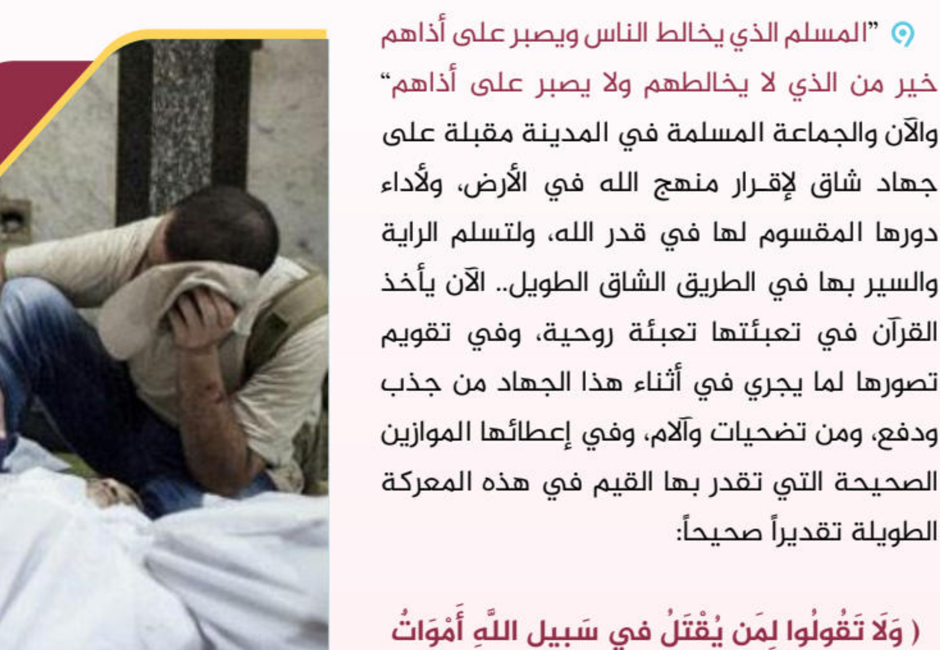


معهم، يؤيدهم، ويثبتهم، ويقويهم، ويؤنسهم، ولا يدعهم يقطعون الطريق وحدهم، ولا يتركهم لطاقتهم المحدودة، وقوتهم الضعيفة، إنما يمدهم حين ينفد زادهم، ويجدد عزيمتهم حين تطول بهم الطريق.. وهو يناديهم في أول الآية ذلك النداء الحبيب: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا)** .. ويختم النداء بذلك التشجيع العجيب:

(إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِين).

والأحاديث في الصبر كثيرة نذكر بعضها لمناسبته للسياق القرآني هنا في إعداد الجماعة المسلمة لحمل عبئها والقيام بدورها:

- عن خباب بن الأرتّ رضي الله عنه "قال شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة في ظل الكعبة. فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار، فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، ما يصده ذلك عن دينه.. والله ليتمن الله تعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت فلا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون". وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: "كأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي نبياً من الأنبياء عليهم السلام، ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه، وهو يقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون" وعن يحيى بن وثاب، عن شيخ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:





- "المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم"

والآن والجماعة المسلمة في المدينة مقبلة على جهاد شاق لإقرار منهج الله في الأرض، ولأداء دورها المقسوم لها في قدر الله، ولتسلم الراية والسير بها في الطريق الشاق الطويل.. الآن يأخذ القرآن في تعبئتها تعبئة روحية، وفي تقويم تصورها لما يجري في أثناء هذا الجهاد من جذب ودفع، ومن تضحيات وآلام، وفي إعطائها الموازين الصحيحة التي تقدر بها القيم في هذه المعركة الطويلة تقديراً صحيحاً:

(وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتُ بَلْ أَحْيَاءُ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ) ..

إن هنالك قتلى سيخرون شهداء في معركة الحق. شهـداء في سبيـل الله. قتلى أعزاء أحياء. قتلى كراماً أزكياء - فالذين يخرجون في سبيل الله، والذين يضحون بأرواحهم في معركة الحق، هم عادة أكرم القلوب وأزكى الأرواح وأطهر النفوس - هؤلاء الذين يقتلون في سبيل الله ليسوا أمواتاً. إنهم أحياء. فلا يجوز أن يقال عنهم: أموات. لا يجوز أن يعتبروا أمواتاً في الحس والشعور، ولا أن يقال عنهم أموات بالشفة واللسان. إنهم أحياء بشهادة الله سبحانه. فهم لا بد أحياء.

إنهم قتلوا في ظاهر الأمر، وحسبما ترى العين. ولكن حقيقة المـوت وحقيقة الحياة لا تقررهما هذه النظرة السطحية الظاهرة.. إن سمة الحياة الأولى هي الفاعلية والنمو والامتداد. وسمة الموت الأولى هي السلبية والخمود والانقطاع.. وهؤلاء الذين يقتلون في سبيل الله فاعليتهم في نصرة الحق الذي قتلوا من أجله فاعلية مؤثرة، والفكرة التي من أجلها قتلوا ترتوي بدمائهم وتمتد، وتأثر الباقين وراءهم باستشهادهم يقوى ويمتد. فهم ما يزالون عنصراً فعالاً دافعاً مؤثراً في تكييف الحياة وتوجيهها، وهذه هي صفة الحياة الأولى. فهم أحياء أولاً بهذا الاعتبار الواقعي في دنيا الناس.



ثم هم أحياء عند ربهم إما بهذا الاعتبار، وإما باعتبار آخر لا ندري نحن كنهه. وحسبنا إخبار الله تعالى به: (**أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ**) لأن كنه هذه الحياة فوق إدراكنا البشري القاصر المحدود. ولكنهم أحياء.

أحياء. ومن ثم لا يغسلون كما يغسل الموتى، ويكفنون في ثيابهم التي استشهدوا فيها. فالغسل تطهير للجسد الميت وهم أطهار بما فيهم من حياة. وثيابهم في الأرض ثيابهم في القبر لأنهم بعد أحياء.

أحياء. فلا يشق قتلهم على الأهل والأحباء والأصدقاء. أحياء يشاركون في حياة الأهل والأحباء والأصدقاء. أحياء فلا يصعب فراقهم على القلوب الباقية خلفهم، ولا يتعاظمها الأمر، ولا يهولنها عظم الفداء.

ثم هم بعد كونهم أحياء مكرمون عند الله، مأجورون أكرم الأجر وأوفاه:
في صحيح مسلم: "إن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش، فاطلع عليهم ربك إطلاعة. فقال: ماذا تبغون؟ فقالوا: يا ربنا. وأي شيء نبغي وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك؟ ثم عاد عليهم بمثل هذا. فلما رأوا أنهم لا يتركون من أن يسألوا قالوا: نريد أن تردنا إلى الدار الدنيا فنقاتل في سبيلك حتى نقتل فيك مرة أخرى - لما يرون من ثواب الشهادة فيقول الرب جل جلاله: إني كتبت أنهم إليها لا يرجعون".



وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا، وله ما على الأرض من شيء. إلا الشهيد، ويتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات، لما يرى من الكرامة." (أخرجه مالك والشيخان).

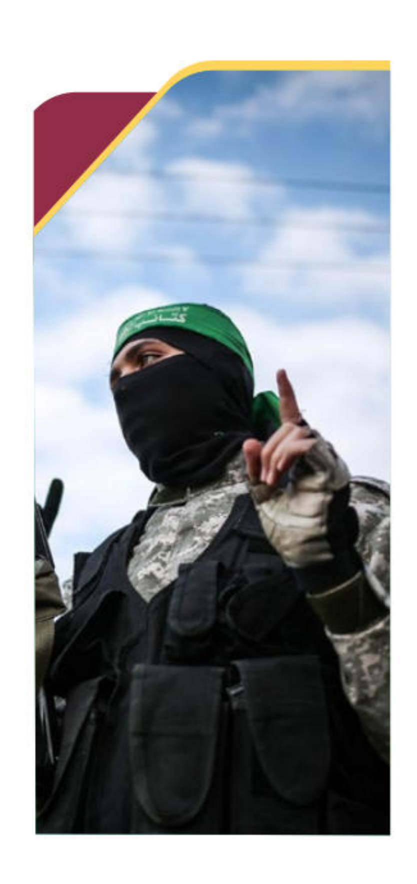
ولكن من هم هؤلاء الشهداء الأحياء؟ إنهم أولئك الذين يقتلون {في سبيل الله}..
في سبيل الله وحده، دون شركة في شارة ولا هدف ولا غاية إلا الله. في سبيل هذا الحق الذي أنزله. في سبيل هذا المنهج الذي شرعه. في سبيل هذا الدين الذي اختاره..

في هذا السبيل وحده، لا في أي سبيل آخر، ولا تحت أي شعار آخر، ولا شركة مع هدف أو شعار، وفي هذا شدد القرآن وشدد الحديث، حتى ما تبقى في النفس شبهة أو خاطر.. غير الله..

عن أبي موسى -رضي الله عنه- قـال: "سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء. أي ذلك في سبيل الله؟ فقال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله" (أخرجه مالك والشيخان)

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- "أن رجلاً قال: يا رسول الله: رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضاً من الدنيا؟ فقال: لا أجر له. فأعاد عليه ثلاثاً كل ذلك يقول: لا أجر له" (أخرجه أبو داود).

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تضمن الله تعالى لمن خرج في سبيل الله. لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي.. فهو عليّ ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة. والذي نفس محمد بيده، ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم، لونه لون دم وريحه ريح مسك. والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة فيتبعوني ويشق عليهم أن يتخلفوا عني. والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل" (أخرجه مالك والشيخان).



فهؤلاء هم الشهداء. هؤلاء الذي يخرجون في سبيـل الله، لا يخرجهـم إلا جهاد في سبيله، وإيمان به، وتصديق برسله.

ولقد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم لفتى فارسي يجاهد أن يذكر فارسيته ويعتز بجنسيته في مجال الجهاد: عن عبد الرحمن بن أبي عقبة عن أبيه (وكان مولى من أهل فارس) قال: "شهدت مع النبي صلى الله عليه وسلم أحداً. فضربت رجلاً من المشركين، فقلت: خذها وأنا الغلام الفارسي: فالتفت إليّ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: هلا قلت وأنا الغلام الأنصاري؟ إن ابن أخت القوم منهم، وإن مولى القوم منهم" (أخرجه أبو داود).

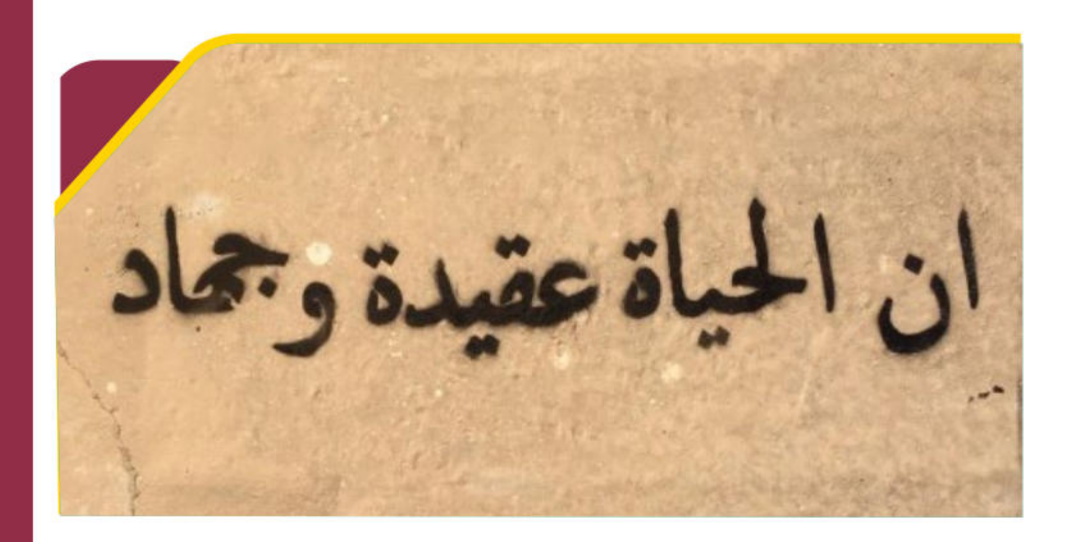


فقد كره له أن يفخر بصفة غير صفة النصر للنبي، وأن يحارب تحت شارة إلا شارة النصر لهذا الدين.. وهذا هو الجهاد. وفيه وحده تكون الشهادة، وتكون الحياة للشهداء.

ثم يمضي السياق في التعبئة لمواجهة الأحداث، وفي تقويم التصور لحقيقة الأحداث:

(وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) ..

ولا بد من تربية النفوس بالبـلاء، ومن امتحان التصميـم على معركـة الحـق بالمخاوف والشدائد، وبالجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات.. لا بد من هذا البلاء ليؤدي المؤمنون تكاليف العقيدة، كي تعز على نفوسهم بمقدار ما أدوا في سبيلها من تكاليف. والعقائد الرخيصة التي لا يؤدي أصحابها تكاليفها لا يعز عليهم التخلي عنها عند الصدمة الأولى. فالتكاليف هنا هي الثمن النفسي الذي تعز به العقيدة في نفوس أهلها قبل أن تعز في نفوس الآخرين. وكلما تألموا في سبيلها، وكلما بذلوا من أجلها.. كانت أعز عليهم وكانوا أضن بها. كذلك لن يدرك الآخرون قيمتها إلا حين يرون ابتلاء أهلها بها وصبرهم على بلائها.. إنهم عندئذ سيقولون في أنفسهم: لو لم يكن ما عند هؤلاء من العقيدة خيراً مما يبتلون به وأكبر ما قبلوا هذا البلاء، ولا صبروا عليه.. وعندئذ ينقلب المعارضون للعقيدة باحثين عنها، مقدرين لها، مندفعين إليها.. وعندئذ يجيء نصر الله والفتح ويدخل الناس في دين الله أفواجاً..



ولا بد من البلاء كذلك ليصلب عود أصحاب العقيـدة ويقـوى. فالشـدائد تستجيش مكنون القوى ومذخور الطاقة؛ وتفتح في القلب منافذ ومسارب ما كان ليعلمها المؤمن في نفسه إلا تحت مطارق الشدائد. والقيم والموازين والتصورات ما كانت لتصح وتدق وتستقيم إلا في جو المحنة التي تزيل الغبش عن العيون، والران عن القلوب.

وأهم من هذا كله، أو القاعدة لهذا كله.. الالتجاء إلى الله وحده حين تهتز الأسناد كلها، وتتوارى الأوهام وهي شتى، ويخلو القلب إلى الله وحده. لا يجد سنداً إلا سنده. وفي هذه اللحظة فقط تنجلي الغشاوات، وتتفتح البصيرة، وينجلي الأفق على مد البصر.. لا شيء إلا الله.. لا قوة إلا قوته.. لا حول إلا حوله.. لا إرادة إلا إرادته.. لا ملجأ إلا إليه.. وعندئذ تلتقي الروح بالحقيقة الواحدة التي يقوم عليها تصور صحيح..

والنص القرآني هنا يصل بالنفس إلى هذه النقطة على الأفق:
(وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) ..

إنا لله.. كلنا.. كل ما فينا.. كل كياننا وذاتيتنا.. لله.. وإليه المرجع والمآب في كل أمر وفي كل مصير.. التسليم.. التسليم المطلق.. تسليم الالتجاء الأخير المنبثق من الالتقاء وجهاً لوجه بالحقيقة الوحيدة، وبالتصور الصحيح.



هؤلاء هم الصابرون.. الذين يبلغهم الرسول الكريم بالبشرى من المنعم الجليل..

وهؤلاء هم الذين يعلن المنعم الجليل مكانهم عنده جزاء الصبر الجميل:
(أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُون)..

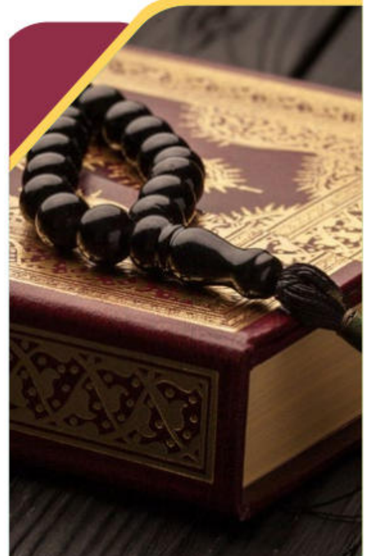
صلوات من ربهم.. يرفعهم بها إلى المشاركة في نصيب نبيه الذي يصلي عليه هو وملائكته سبحانه.. وهو مقام كريم.. ورحمة.. وشهادة من الله بأنهم هم المهتدون..

وكل أمر من هذه هائل عظيم..

وبعد..

فلا بد من وقفة أمام هذه الخاتمة في تلك التعبئة للصف الإسلامي. التعبئة في مواجهة المشقة والجهد، والاستشهاد والقتل، والجوع والخوف، ونقص الأموال والأنفس والثمرات. التعبئة في هذه المعركة الطويلة الشاقة العظيمة التكاليف.

إن الله يضع هذا كله في كفة. ويضع في الكفة الأخرى أمراً واحـداً.. صلـوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون.. إنه لا يعدهم هنا نصراً، ولا يعدهم هنا تمكيناً ولا يعدهم هنا مغانم، ولا يعدهم هنا شيئاً إلا صلوات الله ورحمته وشهادته.. لقد كان الله يعد هذه الجماعة لأمر أكبر من ذواتها وأكبر من حياتها. فكان من ثم يجردها من كل غاية، ومن كل هدف ومن كل رغبة من الرغبات البشرية حتى الرغبة في انتصار العقيدة كان يجردها من كل شائبة تشوب التجرد المطلق له ولطاعته ولدعوته.. كان عليهم أن يمضوا في طريقهم لا يتطلعون إلى شيء إلا رضى الله وصلواته ورحمته وشهادته لهم بأنهم مهتدون.. هذا هو الهدف، وهذه هي الغاية، وهذه هي الثمرة الحلوة التي تهفو إليها قلوبهم وحدها.. فأما ما يكتبه الله لهم بعد ذلك من النصر والتمكين فليس لهم، إنما هو لدعوة الله التي يحملونها.



إن لهم في صلوات الله ورحمـته وشهادتـه جــزاء. جــزاء على التضحية بـالأمـوال والأنفس والثمرات. وجزاء على الخوف والجوع والشدة وجزاء على القتل والشهادة.. إن الكفة ترجح بهذا العطاء فهو أثقل في الميزان من كل عطاء. أرجح من النصر وأرجح من التمكين وأرجح من شفاء غيظ الصدور..

هذه هي التربية التي أخذ الله بها الصف المسلم ليعده ذلك الإعداد العجيب، وهذا هو المنهج الإلهي في التربية لمن يريد استخلاصهم لنفسه ودعوته ودينه من بين البشر أجمعين.



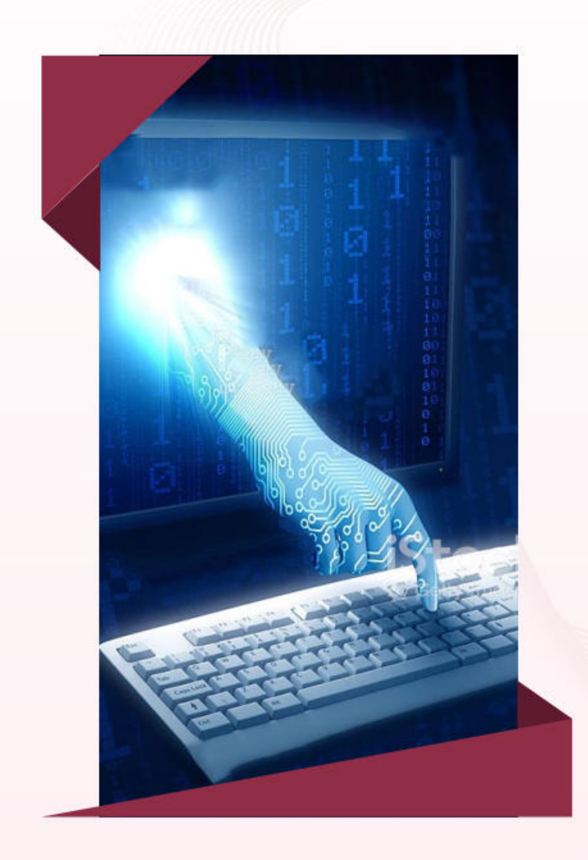
العمليات السيبرانية

أحمد مولانا

ازدادت أهمية الاستخبارات السيبرانية أو بمعنى أوضح الاستخبارات الإلكترونية مع تزايد الاعتماد على شبكة الانترنت في إدارة الكثير من الأنشطة البشرية، حيث صارت معظم قطاعات البنية التحتية الحيوية في الدول المتطورة تقنياً مثل قطاعات النفط والغاز والكهرباء والنقل والأمن تعتمد على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. كما أصبح الإنترنت أداة أساسية لدى كثير من الأفراد في التعلم والتواصل ومتابعة المستجدات فضلاً عن الترفيه وقضاء أوقات الفراغ.

ونظـراً لذلك ازداد الاهتمـام بالأمـن السيـبـرانـي من قـبل أجهـزة الاستخـبـارات والمؤسسات العسكرية على مستوى العالم. ومن أبرز تجليات ذلك طرح البنتاجون في عام ٢٠١٨ لعقد ضخم يدعى (البنية التحتية للدفاع المشترك) والذي يهدف إلى بناء سحابة بيانات لوزارة الدفاع الأمريكية بتكلفة تقدر بعشرة مليارات دولار، وهو مبلغ ضخم غير معتاد إنفاقه في ذلك المجال في عقد واحد. وهو عقد تتنافس على نيله كبريات شركات القنية مثل أمازون وأوراكل.

وكذلك أطلقت القوات الجوية الفرنسية مناقصة نهاية عام ٢٠١٨ للتحقق من أمن أنظمة الحاسب المدمجة على متن طائراتها، حيث كان الاهتمام ينصب على أجهزة الحاسب الملحقة بالمعدات التي تعمل على الأرض، ولكن تزايد خطر الهجمات السيبرانية أدى إلى الاهتمام بالأنظمة المتواجدة على الطائرات.



أما القسم التقني في جهاز الاستخبارات الخارجية الفرنسية (DGSE) فقد أطلق عـدداً من البرامج في عام ٢٠١٩ للتعامل مع الطرق الجديدة لاستخدام الإنترنت، فبدأ في التركيز على مراقبة المحادثات الجارية بين ممارسي ألعاب الفيديو الجماعية، كما يحاول تلبية احتياجات موظفيه الذين يواظبون رغم العديد من المخاوف الأمنية على استخدام تطبيقات المواقع الجغرافية بشكل كبير مثل خرائط جوجل. وذلك عبر التخطيط لتدشين خرائط الجهاز الخاصة الآمنة، وبرامجه التجوالية.

ومن أبرز الأحداث التي توضح مدى الأهمية التي تستحوذ عليها الاستخبارات السيبرانية، الأزمة الخليجية التي اندلعت في مايو عام ٢٠١٧ على خلفية اختراق موقع وكالة الأنباء القطرية، وبثها لتصريحات مزيفة منسوبة للأمير تميم آل ثاني بخصوص إيران والسياسة القطرية في المنطقة.



فخلف الكواليس دارت معركة سيبرانية حامية الوطيس بين الإمارات وقطر. معركة استعدت لها الإمارات مبكراً. فالإمارات العربية المتحدة هي أول دولة في الخليج تؤسس بنية تحتية لمنظومة هجومية سيبرانية. فوكالة الأمن الوطني الإلكتروني (NESA)- وهي الجهاز الإماراتي المكافئ لوكالة الأمن القومي الأميركي (NSA)- تمتلك معظم ترسانة أنظمة الاعتراض والهجوم السايبيري التابعة للدولة، وهي آخذة في التوسع، وقد جرى تغيير اسمها في نهاية عام ٢٠١٨ إلى وكالة استخبارات الإشارة.

وقد عقدت الوكالة عدة عقود مع شركات خاصة متخصصة في العمليات السيبرانية مثل شركة (Verint) الإسرائيلية- الأمريكية، ومجموعة (NSO) الإسرائيلية والتي تدعى الآن(Q) للتقنيات السيبرانية. إذ طُلب منها اعتراض اتصالات هواتف المسؤولين السعوديين والقطريين. وهذه الشركة سبق لها العمل لعدة سنوات مع جهاز أمن الدولة المصري مثلما فعلت شركة (جاما) البريطانية التي تقف خلف برنامج (فين فيشر). وهو برنامج أنتجته شركة جاما بغرض التجسس على نشاط مستخدمي الانترنت، وعندما اقتحم الثوار المصريون مقر مباحث جهاز أمن الدولة بمصر عام ٢٠١١ اكتشفوا عقداً بقيمة ٣٨٧ ألف يورو بين جهاز أمن الدولة وجاما مقابل حصول الجهاز على البرنامج.

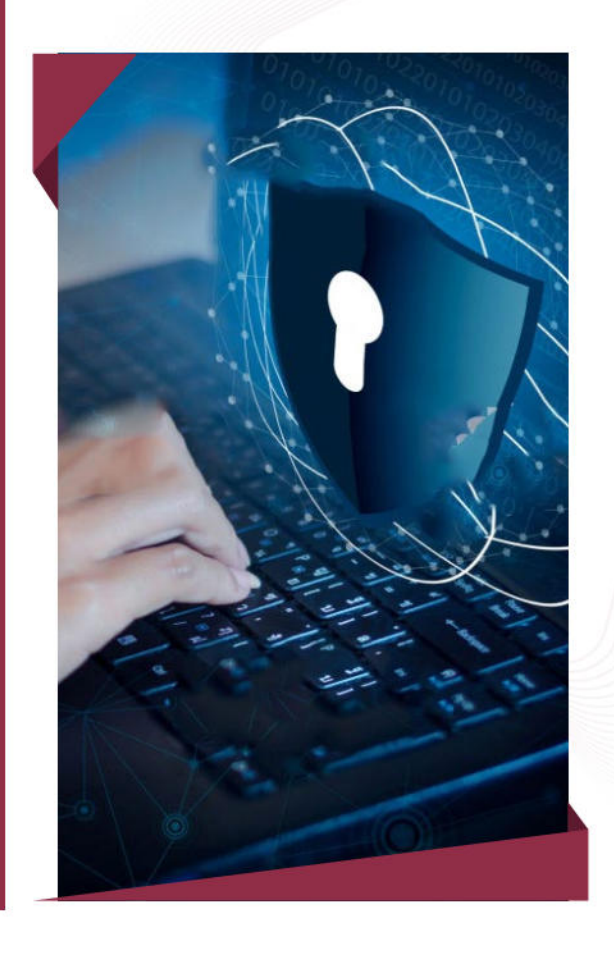
أما على الجانب القطري، فقد كانت قطر أقل جاهزية من الإمارات لخوض الحرب السيبرانية، ومن ثم لجأت عقب حادث اختراق وكالة الأنباء القطرية إلى مجموعة من الشركات المتخصصة مثل شركة جلوبال ريسك أدفايزرز(GRA)، التي يعمل بها عدد من الموظفين السابقين بوكالة المخابرات المركزية مثل جون بويرير المسؤول السابق في الوكالة الوطنية السرية بوكالة المخابرات المركزية (NCS) وضابط المخابرات البريطاني السابق ديفيد باول، بينما يرأسها مسؤول وحدة الاستخبارات السيبرانية السابق في وكالة الاستخبارات المركزية كيفين تشاكر.



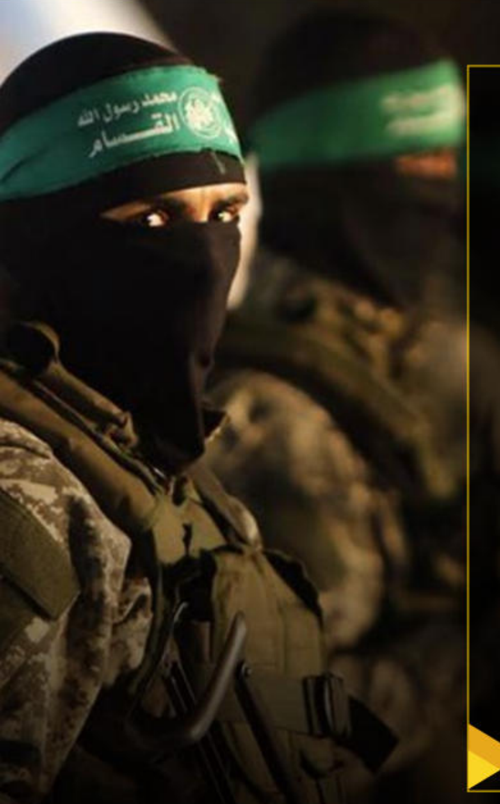
وقد نفذت الشركة عدداً من عمليات القرصنة لحساب قطر. إذ أصبح من المعتاد عند الحصول على معلومات مهمة عبر عمليات القرصنة الالكترونية، أن تنشر تلك المعلومات عن طريق الصحافة العالمية، مثلما حدث في حالات اختراق البريد الإلكتروني للسفير الإماراتي بواشنطن يوسف العتيبة، أو البريد الإلكتروني لرجل الأعمال وجامع التبرعات الجمهوري والناقد الشرس لقطر إليوت برودي.

والذي تبين من مراسلاته الإلكترونية أنه أبرم عقداً بقيمة ٢٠٠ مليون دولار مع الإمارات العربية المتحدة. وأنه رتب نظراً لقربه من جورج نادر صديق ترامب، لقاء لولي عهد الإمارات الأمير محمد بن زايد آل نهيان مع الرئيس الأميركي ترامب أثناء الحملة الرئاسية للأخير.

ومن جهته حرص برودي على مقاضاة بعض المسئولين القطريين أمام إحدى المحاكم الأمريكية في ولاية كالفورنيا بتهمة تنظيم حملة ضده واختراق أجهزة الحاسب الخاصة به، عبر الاستعانة بشركة جلوبال ريسك آدفايزرز(GRA). إلا أن المحكمة رفضت الدعوى في سبتمبر ٢٠١٨ الدعوى بحجة أن مسؤولي الحكومة القطرية محميون بموجب قانون الحصانة السيادية الأجنبية.



مما سبق تتضح الأهمية العملية للفضاء والأمن السيبراني، وأن هذا المجال لا يقتصر العمل فيه على أجهزة ومؤسسات الدول، إنما تشارك فيه شركات القطاع الخاص بقوة. كما يتاح أيضاً للأفراد الموهوبين في المجال التقني أن يلعبوا دوراً بارزاً في العمليات السيبرانية، وهو ما يسترعي العناية بالموهوبين في ذلك المجال من الشباب المسلم، سواء عبر دعمهم بالدورات الفنية التي يحتاجونها، أو بتوفير الأجهزة والأدوات والبرامج التي تسهم في تطوير مستواهم.



كيف أطاحت غـزة بأعتـى قادة العدو؟!

أحمد قنيطة

مستمرةُ هي التداعيات الكبيرة المترتبة على العملية الأمنية التي نفذها جيش الاحتلال شرق خانيونس، فلم يكد المجتمع الصهيوني يصحو من صدمة انهيار حكومته بعد استقالة وزير حربه "أفيغدور ليبرمان" وحزبه من الحكومة، وهو الذي كان قد وعدهم بتصفية قادة المقاومة فور استلامه لمنصبه، حتى نزل عليهم كالصاعقة خبر استقالة قائد وحدة الـ "سييرت متكال" الملقب بالرمز "خ"، وهي الوحدة الأكثر سرّية في الجيش الصهيوني إثر فشلها في تنفيذ العملية الأمنية المعقّدة شرق خانيونس، وذلك بُعيد اكتشاف تحركاتها من قبل مجاهدي كتائب القسام، ثم الاشتباك معها وقتل أحد أهم قادتها وإصابة آخرين، وهو ضابطُ برتبة مقدّم وصفه ليبرمان عبر حسابه على تويتر بقوله: "إن "إسرائيل" خسرت مقاتلاً متعدد المهمات، وسيبقى إسهامه في أمن الدولة السرية لعدة سنوات قادمة"، فيما وصفه نتنياهو قائلاً: "المقدم "م" الذي قتل في خانيونس مقاتلُ باسل، ستُكشف أعماله البطولية في يوم ما".



فما هي وحد (السييرت متكال) وما المهام الموكلة إليها؟

(سييرت متكال) هـــي الوحدة العسكرية الأكثر نخبوية في جيش الاحتلال، وتتبع مباشرة لرئيس شعبة الاستخبارات العسكرية، هدفها الأساسي القيام بجمع المعلومات الاستخبارية وتنفيذ عمليات اختطاف واغتيال وزرع منظومات تجسس لـدى "الجهات المعادية" للكيان الصهيوني، ومـن بين الشخصيات العسكرية البارزة الذين قادوا هذه الوحدة وتخرّجوا منها: إيهود باراك "وزير الحرب الأسبق"، وبنيامين نتنياهو "رئيس الوزراء الحالي"، وشاؤول موفاز وموشيه يعلون "رئيسا هيئة الأركـان العامة ووزيـرا الحرب سابقا" وغيرهم من كبار قادة العدو.

يـروي وزيــر الحرب الصهيوني السابق إيهود بــاراك، أن الـوحـدة نفذت عــدداً من العمليات الاستخبارية التي تركت تأثيراً استراتيجياً على مسار المواجهة مع مصر تحديداً، وتمكنت في حرب عام ١٩٧٣م من اختراق شبكة الاتــصـالات التي يستخدمها الجيش المـصـري، بشكل مكّن "إسـرائـيـل" من التعرف على طابع التعليمات التي تصدر عن المستويات القيادية المصرية".

ضربة جديدة توجهها غزة المُحاصَرة بل المُحاصِرة لمخططات العدو الأمنية والـعـسـكـريـة ضـمـن مـعـركـة العقول وصــراع الأدمـغـة، التي لم تتوقف بين المقاومة الفلسطينية وكيان الاحتلال الغاصب، والتي أثبتت فيها المقاومة الفلسطينية أنها خصم عنيدُ لا يُستهان به، ويستطيع إفساد مخططات العدو، بـل وتوجيه ضـربـات مؤلمة وقاسية لعدو يمتلك أحدث المنظومات الأمنية والتكنولوجية في العالم، برغم تواضع وضعف إمكانيات المقاومة في غزة.



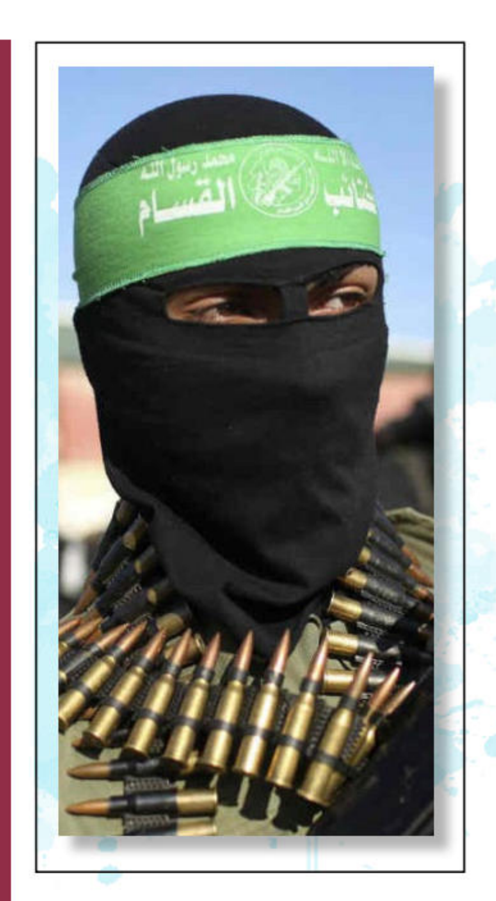
فلم ينسَ الغزيون بعدُ تمكّن مجاهدي القسام في شهر مايو العام الماضي من إفشال أكبر عملية تجسس على الشبكة السلكية لاتصالات المقاومة شـرق المحافظة الوسطى، باكتشاف منظومة التنصت التي زرعها العدو في أحد مقاسم الاتصالات والسيطرة عليها، قبل أن يقوم العدو بتفجيرها آلياً ليرتقي على إثر ذلك ٥ من خيرة مجاهدي كتائب القسام، حفظ الله بدمائهم الزكية تضحيات شعبنا وإنجازات مقاومتنا.



العملية الأمنية شرق خانيونس التي نفذتها وحدة مُختارة من نخبة العدو في نوفمبر من العام الماضي، كانت تستهدف مجدداً زرع منظومة أمنية خطيرة داخل شبكة اتصالات القسام، لمحاولة سد العجز المعلوماتي الكبير الذي تعاني منه أجهزة استخبارات العدو، بعد الضربات القاسية التي وجّهتها الجهات الأمنية في غزة لشبكة العملاء، ما اضطر العدو للمغامرة بالدخول لوحل غزة والمخاطرة بأهم وحداته السرية وأكثرها حِرفيّة لتنفيذ هذه المهمة، فكانت غزة مقبرةً لهم، حيث كان يسعى العدو من خلال تلك العملية للتنصت على اتصالات المقاومة ومعرفة الخطط الدفاعية والهجومية التي أعدها المجاهدون استعداداً للمعركة القادمة، والأخطر من ذلك هو التنصت على تعليمات قيادة المقاومة للمجاهدين خلال المعركة، ما من شأنه أن يحقق للعدو تفوقاً أمنياً واستخباراتياً كبيراً في أي حرب قادمة.

لأول مرة منذ ٢٣ عام تُجبر غزة بصمودها وثباتها ضابطاً رفيع المستوى في جيش الاحتلال على إنهاء خدمته العسكرية وتقديم استقالته من منصبه، بسبب فشله في أداء المهام الموكلة إليه، فلقد اعتادت الوحدات الأمنية السرية التابعة للعدو الصهيوني وعلى رأسها وحدة الـ "**سيررت متكال**" على تنفيذ مهامها الأمنية في معظم دول العالم بهدوء ودون إحـداث ضجيج، ليستيقظ العالم بعد ساعات من إخـلاء مسرح الجريمة على عملية اغتيال أو اختطاف قائد من قادة المقاومة أو خبير من الخبراء الفلسطينيين، بعد أن تكون تلك الوحدات الأمنية الصهيونية قد غادرت البلاد، كما شاهدنا مؤخراً في عمليتي اغتيال الشهيد القسامي التونسي "**محمد الـزواري**" مهندس طائرات الأبابيل في مدينة صفاقص التونسية، والشهيد الباحث والمخترع الفلسطيني **د.فادي البطش** الخبير في مجال الطاقة والهندسة الكهربائية الذي اغتيل في العاصمة الماليزية كوالالمبور.

أما هذه المرة فقد كانت غزة المحروسة برعاية الله ويقظة المجاهدين هي الساحة الأخطر لعمل هذه الوحدة، التي تسللت تحت جنح الظلام في عملية أمنية مُعقّدة، سخرّ لها كيان العدو كل إمكاناته الأمنية والتكنولوجية الهائلة سعياً لإنجاحها، فقد تسللت الوحدة الصهيونية من إحدى المناطق الوعرة في السياج الفاصل شرق خانيونس، مستغلةً وجود الضباب الكثيف، وكانت مجهزةً بأدواتٍ متقدمة ومنظومة قيادة وسيطرة، ومعدات طوارئ، وكل ما يلزم لعمل قوة عسكرية خاصة، فكان لها مجاهدو القسام بالمرصاد وقتلوا قائد الوحدة وأصابوا آخرين واغتنموا منهم أسلحة خفيفة، والأهم من ذلك هو اغتنام منظومة القيادة والسيطرة التي وصفتها كتائب القسام بـ "الكنز المعلوماتي"، وقالت إنه سيعطيها ميزة استراتيجية على صعيد صراع العقول مع الاحتلال، ليرتقي في هذه العملية التي أطلقت عليها كتائب القسام "**حد السيف**" القائد القسامي الهُمام **نور بركة** وستة من مجاهدي كتائب القسام.



ما تزال غزة ومقاومتها بثبات حاضنتها الشعبية وبطولات مجاهديها هي الصخرة الصماء التي تتحطم عليها كل المؤامرات، والعقبة الكؤود في وجه مخططات تصفية القضية الفلسطينية واحتوائها وتدجين مقاومتها الباسلة، والشوكة الصلبة في حناجر قادة العدو الذين يقفون عاجزين أمـام عنفوان شعبٍ مُحاصر فشلت كل الحروب العسكرية القاسية، والاقتصادية القذرة، والأمنية الخطيرة، في كسر صموده وإرادة القتال لدى مجاهديه، هذا النموذج الـذي تقدمه غزة لم يـأتِ عبثاً أو محض صدفة، بل هو بعد توفيق الله عز وجل نتاج عملٍ دؤوبٍ وجهدٍ متواصلٍ يبذله المجاهدون على جميع الصُعُد (العسكرية والأمنية والجماهيرية والإعلامية) دون الـتـفـريـط بـجـانـب على حـسـاب الآخـر.

المعركة الأمنية وملاحقة العملاء واليقظة المستمرة وإفشال مخططات العدو الاستخباراتية، لا تقل ضراوة عن الحرب العسكرية، كذلك فإن الاهتمام بالحاضنة الشعبية وإشراكها في تحمّل المسؤولية والرهان عليها كما رأينا في مسيرات العودة وكسر الحصار وتفقّد عائلات الشهداء والجرحى والفقراء برغم العجز المالي الكبير، بالتوازي مع العمل القتالي والتصعيد العسكري المنضبط بقرارات غرفة العمليات المشتركة، بالإضافة للعمل الإعلامي المميز الذي يهدف إلى ترسيخ فكرة الجهاد والمقاومة، والتحدي الصمود، ونبذ الأفكار الهدّامة التي تدعو للاستسلام وقبول الدنيّة والرضى بالحلول الدولية، كلها عوامل مهمة ساعدت المقاومة في غزة بالصمود والثبات والاستمرار في مقارعة العدو دون كللٍ أو مللٍ أو خور، حتى يقضي الله أمره بتمكين عباده المجاهدين من تحرير فلسطين وطرد الصهاينة المحتلين.



لماذا صمدت طالبان ؟

كرم الحفيان



مقدمة

◀ مع بداية عام ٢٠١٩ م عادت القضية الأفغانية لصدارة نشرات الأخبار العالمية عقب دخول الأمريكان في مفاوضات مباشرة مع حركة طالبان، بغية الوصول لاتفاقية تخرج بموجبها القوات الأمريكية من أفغانستان إثر فشلها في إنهاء أو حتى إخضاع مقاومة طالبان خلال سبعة عشرعاماً مضت، في واحدة من أطول الحروب التي انخرطت فيها الإدارة الأمريكية مع من احتلتهم.

◀ ما يهمنا في هذه المقالة هو محاولة استشفاف أسباب تماسك حركة طالبان بل وتصاعد قوتها رغم شراسة الحرب عليها، وذلك عبر الإضاءة على الجذورالتاريخية والتركيبة الفكرية الاجتماعية للحركة، والخصائص الشخصية للقادة، بالإضافة إلى مقاربة حقيقة مشروعها السياسي.

بدايةً لا بد من تصحيح المعلومة الإعلامية الشائعة عن نشأة طالبان عام **١٩٩٤م** ، فقد ذكر الملا عبد السلام ضعيف أحد مؤسسي طالبان الأحياء أن الحركة كانت موجودة قبل ذلك بعقود، في صورة حركة علمية يرتاد منتسبوها المـدارس الدينية التقليدية ويتدرجون في تلقي العلوم الشرعية، بـدءاً من المرحلة الابتدائية إلى أن ينهوا دراساتهم العليا ويحصلوا على لقب مولوي (عالم).

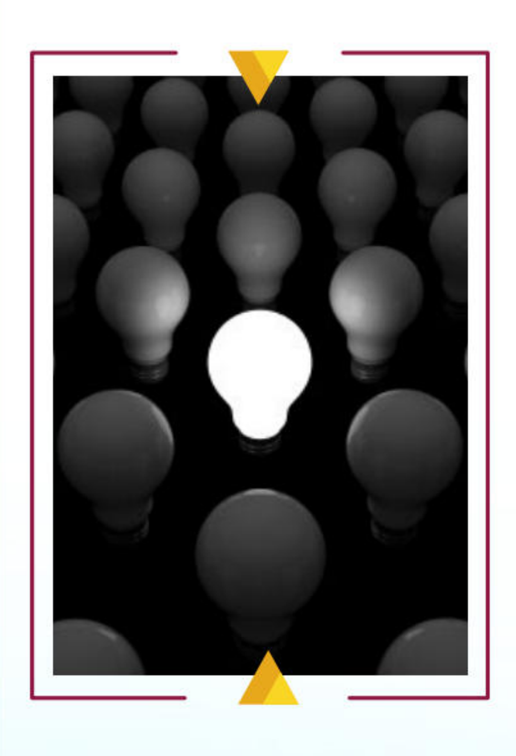


هـذه الحركة كانت تتسم بالسلبية السياسية كغالب التيارات العلمية المـعـاصـرة فـتـتـفـادى المـشـاركـة السياسية بشقيها السلمي والمسلح، إلا أن أحداثاً كتهديدها من قبل الحكومة الشيوعية في نهاية السبعينيات، ثـم احـتـلال السوفييت لأفـغـانـسـتـان، وأخـيـراً انتشارالجرائم وتهديد أمـن المجتمع في زمن اقتتال الأحزاب المجاهدة بعد رحيل السوفييت وسـقـوط الحكم الشيوعي، هـذه الـحـوادث الثلاث استثارت حمية الطالبان ودفعتها للتحرك، وقـد نتج عـن تحركها الأخير صـدارة المشهد السياسي (ولـيـس فقط دخـولـه) منذ ربـع قـرن تقريباً.

ومن خلال استقراء تجربة طالبان من مصادر متنوعة (أفغانية وغير أفغانية)، يمكننا أن نلخص سبب قوة وتماسك الحركة في النقاط التالية:

أولا: الأرضية الفكرية الصلبة

فالعلماء والفقهاء وطلبة العلم لا يشكلون عمودها الفقري فحسب، إنما هم جسم الحركة الرئيس وهو ما لا يكاد يوجد في أي حركة مجاهدة بعد رحيل الاستعمار، وهم ينتسبون للمدرسة التي تشكل الهوية الاجتماعية الدينية للأفغان: المدرسة الديوبندية الماتريدية الحنفية الصوفية، ما جعلهم يسبحون في محيطهم بأريحية.



والحصانة المقصودة هنا هي **الحصانة العلمية داخلياً وخارجياً**، بمعنى عدم الانقسام الداخلي إلى تيارات فكرية متناحرة، وصعوبة قبول أفكار من خارج الإطار الداخلي، حصل هذا خلال جهاد السوفييت حين كانت أكبر الجماعات تتبنى فكر المودودي، وتكرر بصورة أوضح مع القاعدة، فعلى الرغم من وجود أكبر رموزها في أفغانستان لم ينتشر فكرها، في حين انتشر و ساد في غالب الساحات الجهادية بعد دوي أحداث سبتمبر، وكذلك الأمر مع بروز تنظيم الدولة بعد إعلانه للخلافة.

ثانياً: الشخصيات القيادية المميزة

ويتجسد هذا التميز في ثلاث صفات محورية: **الزهد والانتماء والروح القتالية**، فحتى بعد وصول طالبان للسلطة كان الكثير من وزرائها يعملون

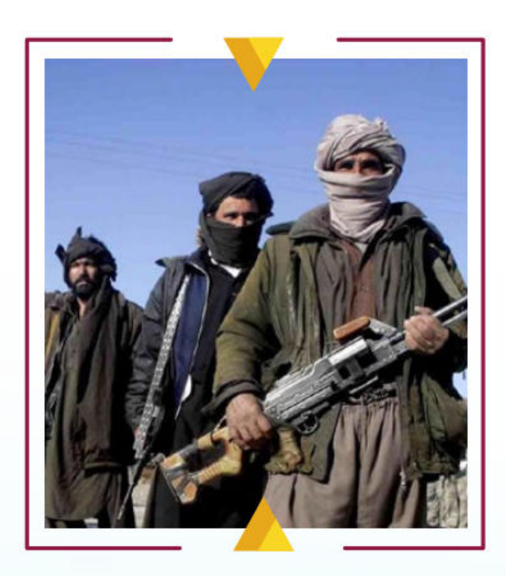
في مكاتبهم إلى أن ينتهي الـدوام، ثم يمتشقون أسلحتهم ويتوجهون إلى جبهات الرباط. وظلت بيوت قادة الحركة وكبار المسؤولين في "الإمارة الإسلامية" وطريقة حياتهم تتسم بالبساطة والتقشف. لعل هذا من آثار طرق التربية الروحية والسلوكية التي تلقوها في معاهدهم الديوبندية.

أمـا عـن الانـتـمـاء لـلـحـركـة فخير مـا يـسـتـدل بـه عليه هـو فشل المساعي الأمريكية (خـلال سـنـوات طويلة ورغـم ممارستها ضغوطات ومـغـريـات كـثـيـرة) في تقسيم الـحـركـة إلـى معتدلين ومـتـشـددين.

ثالثاً: العصبية العرقية الحاضنة



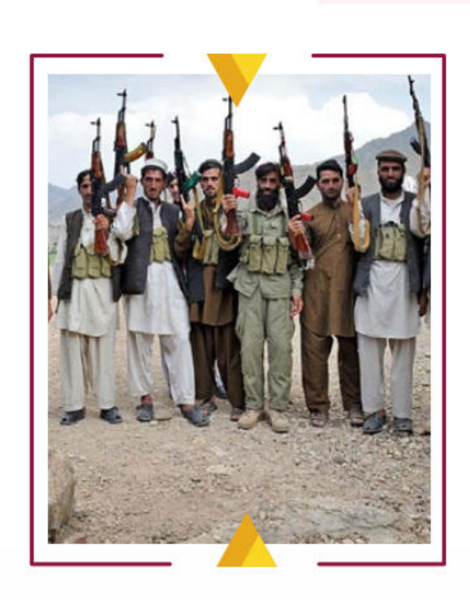
نظراً لأن انطلاقة الحركة كانت من جنوب أفغانستان وتحديداً من محافظة قندهار، فإن قادة الحركة وخزانها البشري وحاضنتها الرئيسية كانوا من العرق البشتوني (**٦٠ %من الشعب الأفغاني**) المنتشر في جنوب وشرق أفغانستان وصولاً إلى الحدود الباكستانية، التي تقطن خلفها قبائل البشتون الباكستانية البالغ عددها عشرين مليوناً أو ما يقارب **١٠ %** من مجموع السكان .



في مناطق القبائل تـكـاد تختفي سلطة الحكومة الباكستانية ونـفـوذهـا، ولـطـالـمـا شـكـلـت هـذه الـمـنـاطـق مـلاذاً آمـنـاً لإعـادة ترتيب صـفـوف الـمـجـاهـديـن الأفـغـان في أحـلـك الـظـروف الـتـي مـروا بـهـا، سـواءً في حقبة الـسـوفـيـيـت أو في زمـن جـهـاد الأمـريـكـان.

إلا أن التحدي الأخطر الذي واجه ويواجه طالبان، هو إزالة آثار الصراعات المتراكمة بين البشتون الذي تنتمي لهم، وبين الأعراق الأفغانية الأخرى كالأوزبك والطاجيك وغيرهم من أبناء الشمال.

رابعاً: المشروع والعلاقات السياسية



منذ أن سيطرت طالبان على العاصمة كابول **١٩٩٦م** وإلى يومنا هذا، تصر الحركة على أن مشروعها أفغاني وطني وليس مشروعاً أممياً. ففي مرحلة حكمها طرحت نفسها كممثل سياسي وحيد عن الأفغان وسعت لنيل اعتراف دولي بذلك. وبعد الغزو الأمريكي قدمت نفسها كقائد المقاومة الأفغانية ونجحت مؤخراً في كسب اعتراف سياسي هام من روسيا والصين.

أما عن العلاقات الخارجية، ففي جميع مراحلها (في الحكم والمقاومة)، حرصت الحركة على استجلاب الدعم الخارجي، وطمأنة جيرانها وجميع دول العالم أنها لا تشكل خطراً عليهم، ولا تسمح لأحد باستخدام أراضيها لتنفيذ هجمات خارجية (قال هذا الملا عمر شخصياً لسفير الصين بعد استفسار الأخير عن دعم طالبان لتركستان في قتالها الحكومة الصينية) وأنها تطمح لإقامات علاقات ودية مع الجميع، ذات الأمر قيل للأمريكان سابقاً ويقال لهم حالياً بشرط إنهاء الاحتلال، أما عن إيوائها للقاعدة وعلاقتها بها وبالجهاد العالمي، فالأمر بحاجة لمقال مستقل لتفاصيله وملابساته الكثيرة، ومن أراد الرواية الطالبانية فعليه بكتاب "حياتي مع طالبان" للملا عبد السلام ضعيف أحد أبرز قيادات الحركة.

خاتمة

الانـتـصـارات الأخـيـرة لـطـالـبـان واقـتـرابـهـا مـن تحريرأفغانستان بـعـد هـزيـمـة أمـريـكـا عسكرياً أمـرُ يـفـرح كـل مـؤمـن، ويـبـث الأمـل في قـلـب كـل مستضعف. ولا شـك أن لثباتها وصـمـودهـا طـوال **١٧ عاماً** خلت عـوامـل كـثـيـرة، بعضها ذاتــي وبعضها موضوعي.



فالأرضية الفكرية الصلبة شكلت صمام الأمـان أمـام الانشقاقات الداخلية، والشخصيات القيادية المميزة بصفات الزهد والانتماء والروح الفدائية ثبتت كيان الحركة، والعصبية العرقية الكبيرة الحاضنة للحركة في معاقلها بأفغانستان وفي ملاذاتها بباكستان أنقذتها في مهب المعركة، والإصـرارعلى عـدم عولمة مشروعها السياسي واللعب على التناقضات الدولية والإقليمية أسهما بشكل كبير في استمرار وجودها وزخمها وانتصاراتها السياسية بجانب العسكرية.

حالات التمرد داخل الجيش المصري (٢)

محمود جمال

ذكرنا في المقال السابق محاولات التمرد التي وقعت في الجيش المصري، وفي هذا المقال نتابع محاولات التغيير السلمية، التي تراوحت بين محاولات فكرية أو تظاهرات واعتصامات أو الترشح لانتخابات الرئاسة.



١ الفريق سعد الدين الشاذلي

يعده الكثيرون من الأصوات الإصلاحية داخل الجيش، وأنه أراد أن تكون حرب أكتوبر حرب تحرير لا حرب تحريك كما أرادها السادات، ثم معارضته لكامب ديفيد التي غيرت عقيدة الجيش المصري تجاه إسرائيل، وقد اتهم الشاذليُّ السادات بالتسبب في الثغرة وتدمير حائط الصواريخ وحصار الجيش الثالث.

وما إن عاد الشاذلي إلى مصر بعد ١٤ سنة من منفاه بالجزائر (مساء ١٤ مارس ١٩٩٢م) حتى سُجِن في السجن الحربي، وسُحبت منه جميع الأوسمة والنياشين، وذلك تنفيذاً لحكم محكمة عسكرية بتهمة نشر كتاب دون موافقة مسبقة، وإفشاء أسرار عسكرية، وهذه التهمة هي التي نفاها الشاذلي بشدة، وطالب أن يُحاكم محاكمة علنية، إلا أن طلبه قوبل بالرفض.

قضى الشاذلي سنة ونصف السنة ثم أفرج عنه (أكتوبر ١٩٩٣م) بعفو عام، وعاش منعزلاً في قريته، وخصص أرضاً كوقف للإنفاق على مسجد، وقضى بقية حياته كخبير استراتيجي يحلل ويكتب ما يدور على الساحة.



الفريق سعد الدين الشاذلي



٢ المشير الجمسي

كان رئيسَ هيئة العمليات في حرب أكتوبر، ثم وزيراً للحربية (١٩٧٤ - ١٩٧٨م)، وقد شهد الجمسي حرب فلسطين ١٩٤٨ وشارك في حربي ١٩٥٦، ١٩٦٧. كتب الجمسي مذكراته "خواطر مقاتل ساهم في حرب أكتوبر ١٩٧٣" بعد وفاة السادات، وكشفت مذكراته مدى الخلاف القائم بينه وبين السادات، وأوضح كيف عملت القيادات العسكرية على تغيير عقيدة الجيش المصري، وكيف سعى السادات لإخراجه من القيادة العسكرية بسبب أفكاره هذه [1] .

---

(١) مذكرات المشير محمد عبد الغني الجمسي، تنفيذ هيئة الكتاب، الطبعة الأولي ١٩٨٩، الربط.

يراه الكثيرون رمز العسكرية المصرية، لما يثار من سعيه الاستغناء عن المعونات الخارجية للجيش المصري وإنشاء منظومة تسليحية خاصة، وحرصه على إحداث طفرة تصنيعية داخل الجيش المصري، فضلاً عن كونه ممن يعد إسرائيل عدواً استراتيجياً للشعب، ويقال إنه كان يحاول كبح جماح مبارك عن التقارب مع إسرائيل، وهو ما أدى إلى إبعاده من الجيش (١٩٨٩م) تلبية لرغبة أمريكا، التي أغضبتها سياساته ومحاولاته الوصول إلى تدخل في صناعة الصواريخ المتقدمة.



المشير محمد أبو غزالة

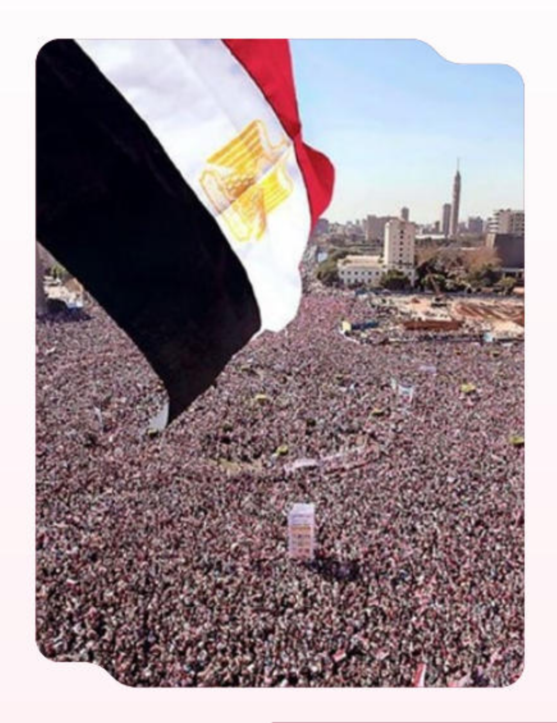
يشبهه البعض بالمشير عبد الحكيم عامر في قوته ونديته لمبارك، ولتمتع أبو غزالة بشعبية كبيرة داخل أجهزة الدولة، فضلاً عن شعبيته في صفوف الجيش، حتى إن مبارك لم يعد رئيساً حقاً إلا بعد استبعاد أبو غزالة من الجيش.

كتب أبو غزالة كتابه الأول "وانطلقت المدافع وقت الظهيرة.. المدفعية المصرية من خلال حرب رمضان"، وشرح فيه دور المدفعية المصرية في حرب أكتوبر، وكشف في كلماته عن نظرته وعقيدته نحو إسرائيل، ومن ذلك قوله: "الخطر الصهيوني ليس موجهاً لدولة عربية بالذات وإنما هو خطر يهدد كيان الأمة العربية كلها" [٢] ، وكشف غير مرة عن أنه ضد التطبيع العسكري مع إسرائيل، وضد أي علاقة تقام مع ذلك الكيان.

(٢) كتاب "وانطلقت المدافع عند الظهر: المدفعية المصرية من خلال حرب رمضان للمشير أبو غزالة" ص ٥٣ ، الرابط

٤ الضباط وثورة يناير

شارك عدد قليل من الضباط في ثـورة ٢٥ يناير ٢٠٠١م، من أبرزهـم : الرائد أحمد شومان الذي أعلن انضمامه إلى الثوار في ميدان التحرير، وهو أول ضابط بالجيش ينضم للثورة، وتكرر نقده للحكم العسكري، وطالب المجلس العسكري بالتخلي عن السلطة للمدنيين. وعبر عن موقفه بأنه أقسم الولاء لجمهورية مصر وليس لأي أحد آخر، وأنه يتشرف أن يكون مع المتظاهرين ولو كانت بزته العسكرية ستمنعه من أداء واجبه فسيخلعها. وأطلق نداء لسامي عنان (رئيس الأركان وقتها) أن يتدخل لعزل مبارك، وندد بعمر سليمان (نائب مبارك وقتها) أنه لم يفعل شيئاً وقت أن كان رئيس جهاز الأمن القومي المصري حين تسربت أموال مصر إلى البنوك السويسرية[٣] . فيما بعد قضت المحكمة العسكرية بسجنه ست سنوات وتأخيره في الأقدمية العسكرية.



ومنهم العقيد المتقاعـد هاني شـرف، الـذي قال بأنه اعتقل في أول مجموعة في الفترة ما بين (٩ أبريل - ٢٢ أبريل ٢٠١١م) وهي التي عرفت بمجموعة ضباط ٨ إبريل، ثم اعتقل مع ثلاثة آخرين (٢٦ مايو ٢٠١١م) مع المجموعة التي عرفت باسم مجموعة ضباط ٢٧ مايو. وهذا بخلاف المجموعة التي شاركت في أحداث محمد محمود الأولى وسُميت مجموعة ٢٠ نوفمبر. ولكن أفرج عن شرف (٢٠١٢م) بقرار من وزير الدفاع وقتها محمد حسين طنطاوي[٤] .

---

(٣) أحمد شومان.. ضابط شجاع تحول إلى واحد من الناس، موقع الراكوبة، تاريخ النشر ٢١ فبراير ٢٠١١م، تاريخ الدخول ٢٨ ديسمبر ٢٠١٨م، الرابط

(٤) عقيد مصري يروي " قصة "ضباط ٨ أبريل"، عربي ٢١، تاريخ النشر ٢٤ يناير ٢٠١٥ م، تاريخ الدخول ٢٨ ديسمبر ٢٠١٨ م، الرابط

ذكر شرف أن عدد الضباط الذين اشتركوا في ثورة يناير ٢٩ ضابطاً، بالإضافة إلى مقدم يُدعى أيمن أحمد سالم، اعتقل قبل الثورة مباشرة بسبب مطالبته الشعب المصري بالثورة على نظام "مبارك"، ودعوته على صفحته في "فيسبوك" وبين أصدقائه وزملائه إلى الخروج في كل جمعة للتظاهر لإسقاط الرئيس حسني مبارك. والمقدم أيمن أحمد سالم، وهو ضابط مهندس بالقوات المسلحة المصرية وكان يعمل بالمخابرات الحربية وكان قد كتب علي موقعه الشخصي رسالة موجهه للشعب المصري يدعوه فيها للخروج لإسقاط النظام، وذلك بتاريخ ٣ ديسمبر ٢٠١٠ أي قبل اندلاع الثورة بشهرين، وبعدها اختفي في ظروف غامضه[٥] .



المقدم أيمن أحمد سالم



٥ ضباط 8 إبريل

مجموعة من ٢١ ضابطًا شاركوا في تظاهرات جمعة ٨ أبريل ٢٠١١ بزيهم العسكري، ضمن شعور عام بأن المجلس العسكري يتلاعب بالثورة، ويتعمد تصفيتها[٦]، ثم ألقي القبض عليهم في فض عنيف لاعتصامهم مع أهالي الشهداء والآلاف من الثوار على يد قوات الشرطة العسكرية والمظلات وحكم على ١٣ منهم بالسجن مدة ١٠ سنوات، خُففت بعد ذلك من عام إلى ثلاثة أعوام.

---

(٥) قصة المقدم أيمن سالم تبدأ مع اول رسالة منه للشعب يوم ٣ ديسمبر ٢٠١٠، الرابط

(٦) ضباط ٨ إبريل". شاركوا في "التطهير" فحبستهم قوانين "العسكرية".. وتحولوا لـ"كبش فداء"، بوابة الأهرام، تاريخ النشر ٢٩ سبتمبر ٢٠١٢م، تاريخ الدخول ٢٨ ديسمبر ٢٠١٨م، الرابط



نماذج التغيير القانوني والدستوري بعد انقلاب يوليو ٢٠١٣م

بعد الانقلاب العسكري (٣ يوليو ٢٠١٣م) حاولت عدة قيادات عسكرية تغيير الوضع بالطرق الدستورية والقانونية، كمنافسة السيسي في انتخابات الرئاسة عامي ٢٠١٤م-٢٠١٨م، ولكن السيسي نكل بهم جميعاً، وزج بالعقيد أحمد قنصوه والفريق سامي عنان في السجن، وأودع الفريق أحمد شفيق قيد الإقامة الجبرية[٧] .

خلاصات واستنتاجات

يراقب العسكريون الأوضاع السياسية، وتتغير استجاباتهم للتحولات الجارية، خصوصاً حين تتجه السياسة إلى ما من شأنه الإضرار بالأوضاع العامة أو مزاياهم الخاصة التي يتمتعون بها.

بالرغم من كون عبد الناصر ومجموعته رسخوا أصول الحكم العسكري، وصنعوا عقيدة لدى العسكريين بأن مصر لا يصلح لها إلا العسكر، وبالرغم من امتيازات العسكريين الهائلة التي بلغت ذروتها في عصر السيسي؛ إذ حقق العسكريون هيمنة على كل المجالات، مع كل هذا فقد بقيت مجموعات ترى أنه ينبغي تسليم الحكم للمدنيين والعودة لحماية الحدود.



جمال عبد الناصر

(٧) اتجاهات التغيير داخل المؤسسة العسكرية المصرية ج٢، محمود جمال، المعهد المصري للدراسات، الرابط

وبناء عليه فقد استفزت سياسات السيسي -وخصوصاً تغيير العقيدة الوطنية المصرية والتقارب غير المسبوق مع إسرائيل، والتنازل عن بعض أراضي الوطن، والتنكيل العام بالشعب- مجموعة من العسكريين، إلا أن السيسي قد نجح في إحباط تلك المحاولات إلى الآن.

يرى البعض أن الانقلابات العسكرية في مصر لا تنجح إلا ضد المدنيين، مثل انقلاب يوليو ١٩٥٢ وانقلاب يوليو ٢٠١٣، وذلك أن الحاكم العسكري يتحسب جيداً ويحتاط من محاولات انقلابية، ومن ذلك إنشاء السيسي لقوات التدخل السريع (٢٠١٤م) قبيل توليه الرئاسة، وهي بمثابة القوة الخاصة التابعة له. كما أن الحاكم العسكري يعمل بعنف وقوة ضد أي معارضة محتملة داخل الجيش، مثل عبد الناصر الذي صفى كل رفاقه في مجلس قيادة الثورة، ومثل السيسي الذي استبعد وحاكم مئات العسكريين من أعلى الهرم (المجلس الأعلى) وحتى صفوف الجنود، ويصف البعض تصفيته ٣٦ عضواً بالمجلس العسكري بأنه انقلاب داخل الانقلاب ليتاح له الانفراد بالحكم.



تنوعت المحاولات العسكرية الفاشلة للانقلاب على السيسي، لكن يرى البعض أنه حتى لو نجحت محاولة ما فإن التغيير لن يكون جذرياً، ولن يكون في صالح تصحيح العلاقات المدنية العسكرية التي تقضي بعودة الجيش لحماية الحدود، فحتى محاولات قنصوه وشفيق وعنان إنما كانت تريد حكماً عسكرياً لكن بسياسات جزئية مختلفة،ومن ثَمَّ فعلى الذين يأملون في تغيير جذري ألا يكون تعويلهم على الجيش المصري **لثلاثة أسباب رئيسية:**

١- السيطرة التامة للسيسي على المجلس العسكري، بإزاحة السابق وتشكيل آخر يدين له بالولاء.

٢ القيود المحكمة التي تحكم حركة الضباط والقيادات الوسطى، إذ تعمل المخابرات الحربية على التصفية الدورية لمن يلوح منهم أدنى توجه مخالف لسياسات النظام، مع التدقيق الشديد في التحريات العسكرية على طلبة الكليات العسكرية، وهو التدقيق الذي يبلغ أقصى حالاته عند نهاية رتبة العقيد حيث لا يُسمح بالترقي إلا لمن كان مضمون الولاء تماماً. إذ تتولى الرتب التالية قيادة الوحدات والتشكيلات العسكرية، وإذا وصل الضابط لرتبة العميد واللواء فإنه يحصل على "بدل الولاء" الذي يبلغ مئات آلاف الجنيهات لضمان ولائهم وتوسيع مزاياهم. ولهذا فلن يوجد أمثال هشام عشماوي أو عماد عبد الحميد في صفوف الجيش، ومن ثَمَّ يضطر هؤلاء أنفسهم إلى ترك الجيش والانضمام للجماعات الجهادية.



٣ الامتيازات الكبيرة التي يحصل عليها الضابط، حتى في أدنى الرتب "رتبة الملازم"، وهو ما يجعل العسكريين فئة ممتازة ومنفصلة عن عموم الشعب المصري، ويحولهم إلى جماعة وظيفية مرتبطة بالنظام وحريصة على استمراره، يضاف الي هذا قانون "معاملة كبار القادة" الذي أقره السيسي (٣ يوليو ٢٠١٨م)، والذي منح كبار قادة الجيش المصري الكثير من الامتيازات الشخصية[٨].

(٨) قادة المؤسسة العسكرية تحصين أم تأميم؟، تقدير موقف، محمود جمال، المعهد المصري للدراسات، الرابط

ومن هنا فعلى راغبي التغيير الجذري ألا ينتظروا ذلك من الجيش، وإن كان هذا لا ينفي وجود أصوات عسكرية ستتفهم أي محاولة لتغيير النظام، وربما دفعهم هذا للتعامل بشكل إيجابي مع تلك المحاولات، وهذا عامل مهم ستحتاجه أي حركة تغيير، إلا أن هذه الحاجة سرعان ما ستنقلب إلى تصادم في الرؤى والمسارات حول وضعية الجيش بعد التغيير.



يرى آخرون أن سياسيات السيسي تنتج زيادة في شرائح الناقمين الراغبين في التغيير داخل الجيش، وأن تلك الشرائح لن تفكر في سلوك الطرق القانونية بطبيعة الحال وإنما سيفكرون في المواجهة، لا سيما وقد أعلن رأس النظام أنه على من يرغب في التغيير فعليه أن يتخلص منه أولاً.



مــــادة حصريـــة

مذكـرات الشيـخ رفاعي طـه (12)

من مؤسسي
الجماعة الإسلامية المصرية

سجلها عنه وحررها محمد إلهامي

بعد حوار دافعت فيه عن الشريعة الإسلامية انضممت للتيار اليساري

كان الخطاب اليساري جذابا يمس المشكلات اليومية

قال لي عميد الحقوق: أنا مثل مالك والشافعي وأحمد ولا تقرأ في الكتب الصفراء

كانت الجماعة الدينية في الجامعة أوائل السبعينات ضعيفة متهالكة تجمع الصوفيين والأمنجية

• لقراءة الحلقات السابقة:

- الحلقة السادسة: قصتـــي مـــع التصـــوف
- الحلقة السابعة : قصــة ثــورة فــي المدرســة
- الحلقة الثامنة : كنت عضوا بالاتحاد الاشتراكي
- الحلقة التاسعة: كنا البديل لما لا يعجبنا
- الحلقة العاشرة: أخفقت خطة إقامة الدولة الإسلامية عند أول عقبة
- الحلقة الحادية عشر : هكذا شاهد جيلنا حرب أكتوبر وانكسرت أحلامه في التحرير

أول ما أتذكره من أيام الجامعة ذلك النقاش الذي اندلع مع أستاذ القانون حول الشريعة الإسلامية، وقد كان من محاسن الجامعة ذلك التقارب الذي يكون بين الطالب والأستاذ الجامعي، فإنه أفضل من العلاقة الأبوية التي بين تلميذ المدرسة والـمُدَرِّس، وذلك أنك تستطيع الحديث مع أستاذ الجامعة في أي وقت، تطرح وجهة نظرك، تجادل فيها، تناقش المادة نفسها ومعلوماتها ولا تتعامل معها كأنها مقدسة كما هو الحال مع المادة في المدرسة، وذلك هو ما شجعني لبدء هذا النقاش.

غاب عني الآن اسم الأستاذ، لعل اسمه كان "محمود سلام زناتي"، وكان عميداً لكلية الحقوق، لكنه كان يُدَرِّس لنا مادة "مبادئ القانون" في كلية التجارة، وكانت تشتمل على جزء من القانون البحري أو القانون التجاري، لا أتذكر الآن بدقة، على أن مقدمة هذه المادة جاء فيها أن "الشريعة الإسلامية هي المصدر الثالث للتشريع" أو نحواً من هذا، فاستفزني هذا الكلام، فذهبت إليه في الاستراحة التي تكون بين جزئي المحاضرة، وفيها كان الطلاب يذهبون فيسألون الأستاذ، وقد كانت شخصيته لطيفة فكان يجيبهم ويبش لهم، فعمدت إليه ومعي الكتاب، وانتظرت حتى فرغ الطلاب من حوله، ثم دار بيننا هذا الحوار، قلت له:

- لو سمحت حضرتك، أريد أن أسأل سؤالاً
- تفضل يا بني
- أنت تقول في المذكرة إن الشريعة الإسلامية هي المصدر الثالث للتشريع.. هذا صحيح؟
- نعم، صحيح!

- الشريعة الإسلامية المصدر الثالث للتشريع؟!

- نعم!

- الشريعة الإسلامية!! المصدر الثالث!! للتشريع؟!!

زاد استغرابه، وصار لا يفهم ما أقول، فقال بنوع جدية وصرامة:

- أين السؤال؟!

فقلت له وأنا سادر في أسلوبي:

- يعني لم تدرك السؤال بعد؟!

- عيب يا بني.. عيب! ما هذه اللهجة وما هذه الطريقة في الكلام.. من أين أنت؟

- من أرمنت، قنا (وأنطقها بلهجتي الصعيدية التي تُنطق فيها القاف كأنها جيم قاهرية)

- أين أرمنت قنا هذه؟!

- ألا تعرفها.. لا تعرف أرمنت، قنا؟!

- لا، لا أعرف

- مركز أرمنت، محافظة قنا.

- آها، نعم، محافظة قنا معروفة.. المهم، أين السؤال، عم تريد أن تسأل؟

- حضرتك تقول: الشريعة الإسلامية المصدر الثالث للتشريع، هل هذا صحيح؟!

- نعم، هذا صحيح، أنا أقول هذا فعلاً، ما الذي يعسر عليك في فهم هذا؟!

- أنا معترض على قولك: إن الشريعة الإسلامية المصدر الثالث للتشريع.

- حسناً، فماذا تريدني أن أقول؟ هل تحب أن أقول إنها المصدر الأول؟

- نعم، يجب أن تقول: المصدر الأول

- ولكنها ليست كذلك، ليست المصدر الأول

- ليكن، ليكن أنها الآن ليست المصدر الأول، لكن هل أنت مقتنع أن مكانها الطبيعي أن تكون المصدر الثالث؟! هل يليق بالشريعة أن تكون المصدر الثالث برأيك؟ أم أنك تسير مع الوضع الحالي الذي جعلها المصدر الثالث؟

- رد بتجهم: أنت تكثر القراءة في الكتب الصفراء!

لم أفهم إشارته وتلميحه، ولـم أكـن أعـرف أن الكتب الصفراء مصطلح يطلق على كتب التراث الإسلامي، وتصورت أنه يقصد الكتب التي ورقها أصفر كالكتب القديمة المطبوعة على الـورق الأصـفـر، وقـع في ذهني المعنى المباشر للألوان، وهو ظاهر الكلام، فأجبته ببراءة ولهجة دفاعية:

- لا والله العظيم، أنا لا أقرأ أبداً في كتب صفراء.. أنا...

وجد الدكتور نفسه أمام طالب بينه وبينه فجوة في التواصل! فقال بلهجة ودود:

- الشريعة الإسلامية يا بني لا تصلح أن تكون مصدراً مستقلاً في التشريع

- لكن هذا الكلام غلط يا دكتور

- أين الغلط يا ابني؟

- هذه الشريعة الإسلامية أنزلها الله تعالى

- من قال لك: أنزلها الله؟! الشريعة الإسلامية هذه هي أقوال الفقهاء، مجرد اجتهاد بشري، مجرد فهم للنص، وأنا فقيه.. أنا من فقهاء الأمة! وأنا أفهم النص مثلما كان يفهمه الإمام أحمد والإمام الشافعي والإمام مالك وهؤلاء الفقهاء

- لا طبعا.. كيف؟ كيف تُسَوِّي نفسك بهؤلاء الأئمة؟

- وما أدراك أنت بهؤلاء؟ هل تعرفهم؟ هل تعرف أنت مالك والشافعي وأحمد؟ هل قرأت لهم شيئاً؟ هل إذا أعطيتك الآن مجموعة من كتبي مثل كتبهم.. هل تشهد أني أفهم مثلهم؟!



أصابني الارتباك، كان موقفاً غريباً وغير متوقع، رجل يقول إنه مثل مالك وأحمد، ويفهم مثلهم.. لكني مع ذلك تماسكت وقلت:

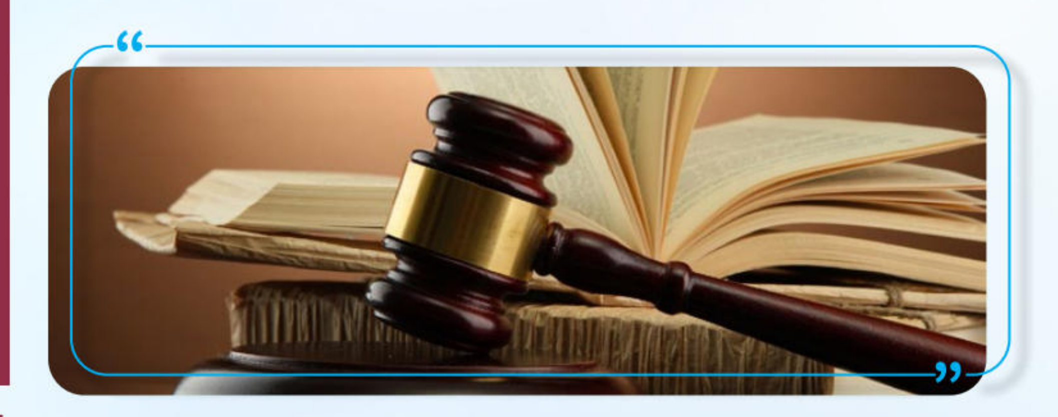
- لا، حضرتك لديك علم في القانون الوضعي الذي تُدَرِّسه، لكن لا يمكن يكون لديك من علم الشريعة مثل أحمد ومالك وهؤلاء الأئمة، هؤلاء أخذوا علمهم من القرآن والسنة.

- نحن أيضاً مصدر علمنا الكتاب والسنة، كيف تتخيل العلم الذي لدينا؟ القانون الفرنسي نفسه مأخوذ عن الشريعة الإسلامية، ثم نُقِل إلينا بهذه الكيفية، ففي الواقع فإن العالم كله يحتكم إلى الشريعة الإسلامية حين يحتكم إلى القانون الفرنسي.

هنا أصابني الانبهار، وأخذني مسار الكلام لأعجب به، لقد رسم لي أن العالم كله يحتكم إلى الشريعة الإسلامية، وكفى بهذا فخراً ومصدر سعادة.. ومع ذلك فقد كان شيءُ ما في نفسي يرفض هذا، ويراه تلفيقاً أو تزويراً أو كلاماً غير مقبول، فعاودت أقول وأرد:

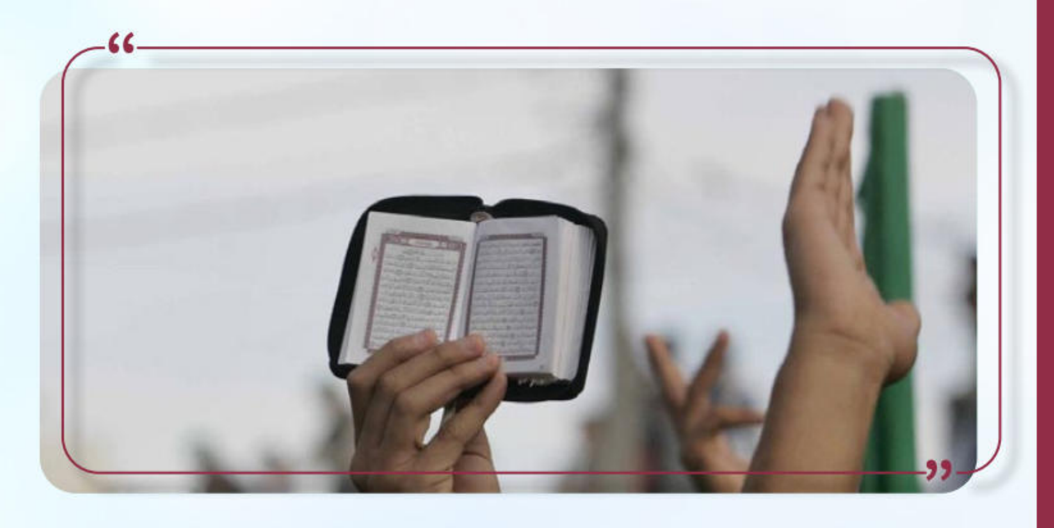
- لا.. لا يمكن أن يكون هذا القانون هو القانون الإسلامي

- يا بني، أنا عميد كلية الحقوق، وعندما أقول لك: إن القانون الفرنسي مأخوذ من الشريعة الإسلامية، فأنا أعلم ما أقول!



في هـذه الـعـبـارة الأخـيـرة احتد عـلـيَّ، وارتـفـع صوته في النقاش، ومـا كنتُ لأستغرب هـذا، فمثل هـذا الحوار والـجـدال لم يكن ممكناً أن يـدور مع مُــدَرِّسٍ في المـدرسـة، وهـا هو يـدور بين طالب وعميد لكلية الحقوق، ومع أن الرجل أفحمني وأسكتني، ومع أني لم أعد أعـرف بم أجيب ولا كيف أرد، إلا أنني بقيت على انبهاري بالرجل وإعجابي به. ثم مع ذلك فقد كرهت مـادة القانون، وعزمت ألا أحضر هذه المحاضرة!

كنت مبهوراً نعم، لكن أيضاً لم أبتلع قوله إن الشريعة هي المصدر الثالث للتشريع، ثم إن له فلسفة تُعْجِزُني، والعجز يضيق الصدر ويسبب أزمة، ما هذا الرجل؟! هل يمكن أن يكون فعلاً كالإمام أحمد أم أنه يريد بهذا تشويه علماء الشرع حين ينزل بهم إلى نفسه؟! هل له فعلاً مثل إنتاجهم؟! هل يمكن أن يكون له مثل فهمهم وعلمهم بالدين؟! أمور لم أستطع أن أبتلعها وإن أسكتني حواره، وكان الحل الأسهل أن أتجنب هذه المادة وصاحبها.. وقد كان! ثم كانت بعد ذلك آثارها، لقد ظللت أرسب في هذه المادة ثلاث سنوات متتاليات!

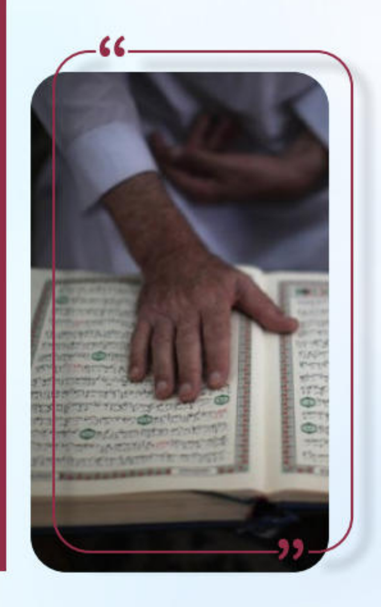


ويبدو أن ذلك الحوار قد طبع صورتي في ذهنه، فقد شاهدني ذات يوم وأنا داخل إلى المدرج فنادى عليَّ، ثم سألني: لم لا تحضر معنا؟ فأجبته باقتضاب وأنا أتملص من الموقف: سأحضر سأحضر، ثم سارعتُ منصرفاً.

ومـن المـفـارقـات، أنـي وبعد هـذه المـحـاورة التي أبـدو فيها كإسلامي متشدد، مـا لبثت أن انخرطت في صفوف التيار الـيـسـاري، ناشطاً طلابياً!

ومن المفارقات أيضاً أني لم أحاول فيما بعد هذا الحوار أن أعود إلى الكتب فأقرأ لأردَّ عليه، استمر شأني في الـقـراءة كما هـو، الـقـراءة المتنوعة غير الموجهة، لكن لم أقـرأ بغرض الـردّ عليه، كأن الحوار لم يستفزني للرد رغم أنه أعجزني وأضـاق صـدري، لقد وقر في نفسي أنه أستاذي وكيف أردّ عليه؟!

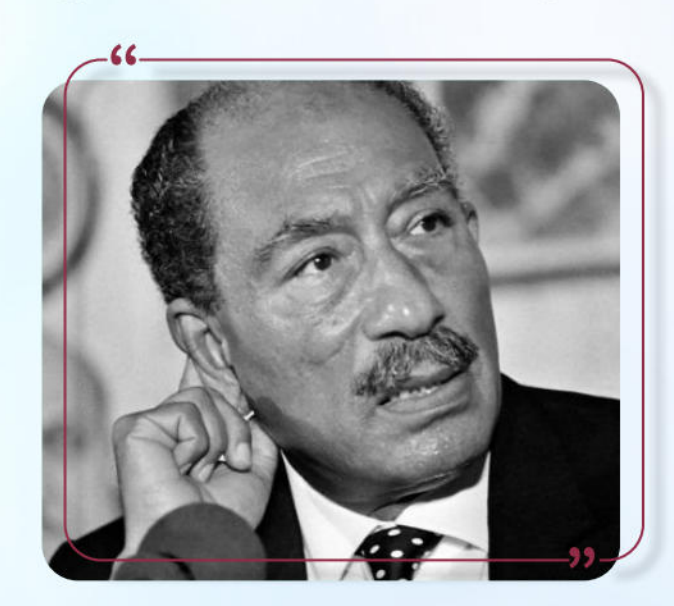
أتذكر أنـي كنت في تلك الفترة أقـرأ في الكتب الإسلامية عموماً، وأقـرأ تفسير القرآن لابن كثير، ومقدمة ابن رشد التي هي بداية المجتهد ونهاية المقتصد، وكتاب أصول الفقه الصغير الذي ألفه الشيخ محمد خلاف. كانت هذه الكتب الثلاثة تلازمني في المرحلة الثانوية، ثم في أول سنة بالجامعة كنت أقرأ فيهم فيتحسن فهمي، ثم اشتريت كتاب "الأم" للإمام الشافعي، وبمرور الوقت بدأت تتكون ملكة القراءة في كتب السلف، لا سيما في المعسكرات الطلابية ومعارض الكتاب الإسلامية، ولقد أعطى نشاط التيار الإسلامي في السبعينات دفعة هائلة لمثل هذه الميول.. لكن هذا سيأتي فيما بعد!



أما قصة انضمامي إلى التيار اليساري فكان السبب فيها أني بطبعي شخص نشط، ولا أستطيع الخمول والسكون، وفي ذلك الوقت لم يكن قد بدأ النشاط الإسلامي في الجامعات، بل كان النشاط يكاد يكون حكراً على اليساريين، نعم.. كان هناك ثمة جماعة ضعيفة اسمها "الجماعة الدينية" إلا أنه يغلب عليهم التوجه الصوفي والتوجه الأمني كذلك، كان معظمهم صوفية وتابعين للأمن! كنت أعرف الصوفيين بما لدي من تجربة قديمة في الصوفية، لكن التابعين للأمن كـان تصنيفاً جديداً أخذته من الرفاق الشباب اليساريين الذين كنا نعمل معاً.

ومع هذا فلم يكن أولئك التابعون للأمن عتاة أو دهاة، إنما كان توجههم الصوفي ينزع بهم إلى ذلك كما ذكرت سابقاً، من أن التدين في عصر عبد الناصر كان ذا مسحة صوفية وأن هذا كان مطلب السلطة لتوظيف الدين ضمن سياستها، ولقد كان مألوفاً أن يكون المرء اشتراكياً وصوفياً معاً كما سبق الحديث. ثم إن هذه الجماعة الدينية ضعيفة وخاملة ولا نشاط لها، إنهم يُعرفون بالتزامهم الصلاة وبمجلة حائط ضعيفة متهالكة لا تسمن ولا تغني من جوع. وهو ما يخالف طبعي ويجعلني نافراً من حالة السبات هذه!

أما اليساريون فأصحاب نشاط وحركة، يصدرون عدداً من مجلات الحائط، بل لقد كنتُ أصدر مجلة حائط وحدي، إعداداً وتنفيذاً، وقد شاركوا فيها وكانوا يدعمونني، وكانت الجامعة تشهد حرية طلابية، وقد كان الطلاب اليساريون يُجَهِّزون معرضاً ويتكلمون فيه عن السادات والحرب والحق في الخبز والعدالة الاجتماعية والأزمة الاقتصادية والبلد التي تعاني من المجاعة والشعب الذي يعضه الفقر، يتكلمون أحياناً أخرى عن الطالب المصري، وأزمة الكتاب لدى الطالب المصري، أزمة التعليم لدى الطالب المصري، ما الذي يتلقاه الطالب في مصر من المناهج الضعيفة غير العلمية غير المركزة.. إلخ!



كان اهتمامهم منصباً على المشاكل التي تمس الحياة اليومية، إضافة إلى البعد السياسي، وقد كان للسادات نصيب الأسد من نقدهم وهجومهم. وكان هذا ما يجذب إليهم، وهو من جملة ما جذبني كذلك.



أشكال الدعم الشعبي

(مترجم من دليل الجيش الأميركي لمكافحة التمرد)

يأخذ الدعم الشعبي أشكالاً متعددة. فيمكن أن ينشأ داخلياً أو خارجياً، ويكون سلبياً أو فعالاً. وهناك أربعة أشكال من الدعم الشعبي:

- الدعم الخارجي الفعال.
- الدعم الخارجي السلبي.
- الدعم الداخلي الفعال.
- الدعم الداخلي السلبي.

وتختلف الأهمية النسبية لكل شكل من أشكال الدعم حسب الظروف،إلا أن جميعها تصب في فائدة التمرد.

يشمل الدعم الخارجي الفعال التمويل، واللوجستيات، والتدريب، والمقاتلين، والملاذات الآمنة. ويمكن توفير جميع أشكال الدعم هذه عبر حكومة أجنبية أو منظمات غير حكومية مثل الجمعيات الخيرية.

يحدث الدعم الخارجي السلبي عندما تدعم حكومة أجنبية التمرد من خلال التقاعس عن العمل.

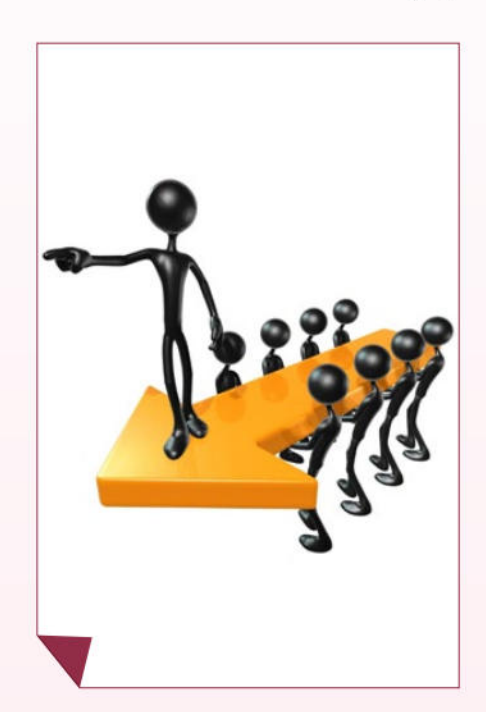
وتشمل صور الدعم السلبي ما يلي:

- عدم وضع حد لنشاطات المتمردين الذين يعيشـون أو يعمـلون داخل حـدود الدولـة.
- الاعتراف بشرعية مجموعة المتمردين.
- إنكار شرعية حكومة الدولة المضيفة.

عادة ما يكون الدعـم الداخلي الفعال هو الأكثـر أهميـة لمجموعة المتمردين.

وتشمل صور الدعم الداخلي الفعال ما يلي:

- انضمام الأفراد أو الجماعات إلى التمرد.
- تقديم الدعم المالي أو اللوجستي.
- تقديم المعلومات.
- توفير الملاذات الآمنة.
- تقديم المساعدة الطبية.
- توفير وسائل النقل.
- القيام بأعمال نيابة عن المتمردين.



الدعم الداخلي السلبي مفيد أيضاً.

فلا يقدم الداعمون السلبيون الدعم المـادي، إلا أنهم يسمحون للمتمردين بالعمل ولا يقدمون أي معلومات لقوات مكافحة التمرد. وهذا الشكل من الدعم غالباً ما يشار إليه بالقبول أو الإذعان.

أساليب تكوين الدعم الشعبي

يستخدم المتمردون العديد من الأساليب لتكوين الدعم الشعبي.

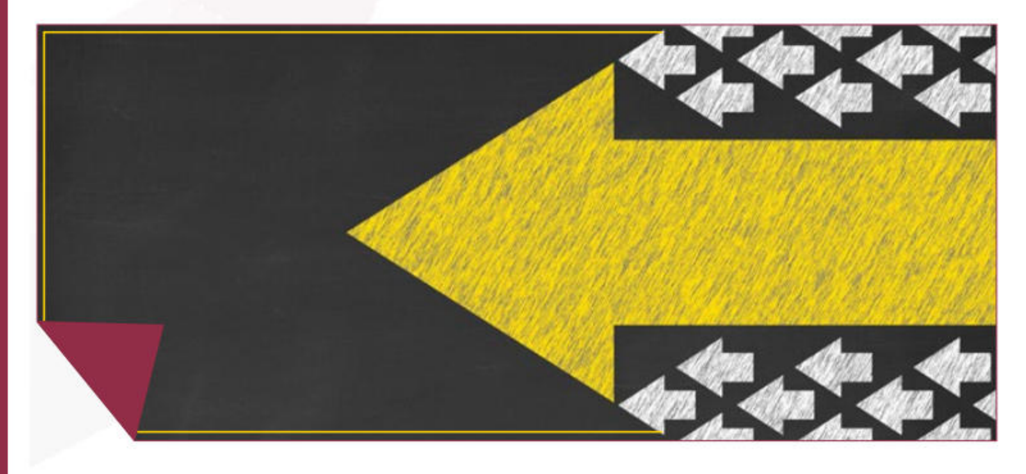
وتتضمن تلك الأساليب ما يلي:

- الإقناع.
- الإكراه.
- تشجيع ردود الفعل المبالغ فيها.
- المقاتلون السياسيون.

يمكن استخدام الإقناع للحصول على الدعم الداخلي أو الخارجي.

وتشمل أشكال الإقناع ما يلي:

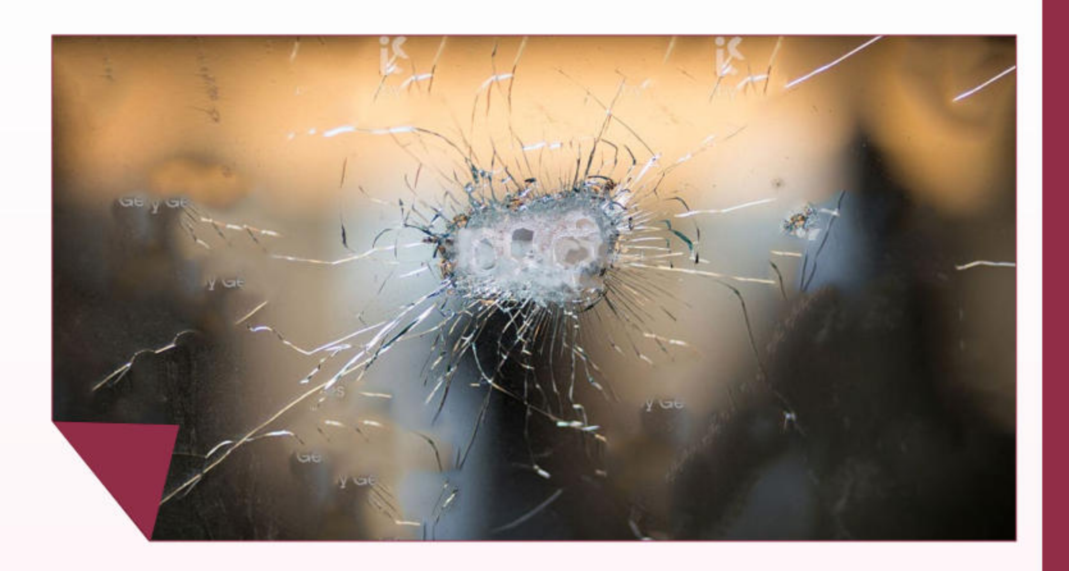
- الانجذاب لكاريزما زعيم أو جماعة.
- الاعجاب بأيدولوجية معينة.
- الوعود بمعالجة المظالم.
- إظهار القوة، من خلال شن هجمات واسعة النطاق أو تقديم برامج اجتماعية للفقراء.



وقد يكون الإقناع من خلال إظهار القوة هو أكثر الأساليب فاعلية، لأنه يستطيع خلق تصور بأن التمرد لديه زخم وسوف ينجح.

يستخدم المتمردون الإكراه لإجبار الناس على دعم أو تقبل أنشطتهم. وتشمل وسائل الإكراه: التكتيكات الإرهابية، والعنف، والتهديد باستخدام العنف. ويمكن استخدام الإكراه لتغيير سلوك الأفراد أو المجموعات أو المنظمات أو الحكومات. وغالباً ما يكون الإكراه فعالاً للغاية على المدى القصير، ولا سيما على مستوى المجتمع.

إلا أن الإرهاب ضد عامة السكان والزعماء الشعبيين، أو الهجمات التي تؤثر سلباً على أسلوب حياة الناس، يمكن أن تقوّض شعبية المتمردين. فالإكراه طريقة سهلة تسمح للمتمردين بتكوين الدعم السلبي، إلا أن هذا الدعم يوجد فقط طالما كان في إمكان المتمردين ترويع السكان.



إن تشجيع رد الفعل المبالغ فيه يشير إلى إغراء قوات مكافحة التمرد على استخدام تكتيكات قمعية تُنفِر السكان، وتجلب التدقيق في أفعال الحكومة، كما يشير أيضاً إلى استفزاز الحكومة لتقوم بالرد.

قد يُجتذب المقاتلون السياسيون بعدة وسائل غير أيدولوجية. تتضمن الحوافز النقدية، والوعود بالانتقام، والمشاعر الرومانسية التي يشعر بها الفرد أثناء قتاله في حرب ثورية.

وبالرغم من صعوبة تحديد حجم الدعم الشعبي، يقوم المحللون بتقييم مقدار الدعم الشعبي الذي تتلقاه جماعة المتمردين، وقدرتها على تكوين المزيد من الدعم. وتقدم المصادر المفتوحة وتقارير الاستخبارات بيانات تدعم هذا التحليل. ويمكن أن تكون بيانات استطلاع الرأي وسيلة قيمة رغم عدم دقتها لقياس الدعم المقدم لحكومة الدولة المضيفة والدعم المقدم للتمرد. كما أن ما تنشره وسائل الإعلام وغيرها من المصادر المفتوحة يكون مهما على جميع المستويات. ويمكن الاستفادة من تقييم توجهات المجتمع في تقدير الدعم الشعبي على المستوى التكتيكي عن طريق قياس بعض الأمور مثل ردود فعل عامة السكان المحليين تجاه تواجد قوات عسكرية أو قادة الحكومة.



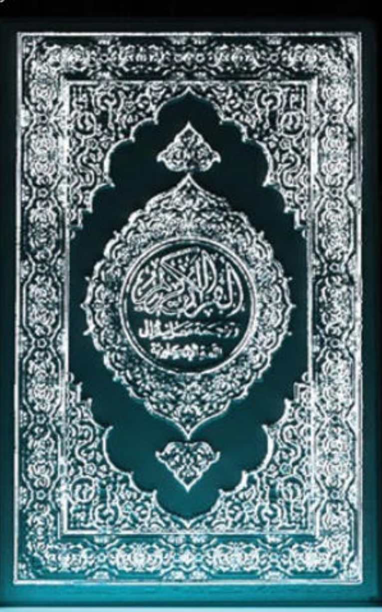
على الرغم من أن العنف قد يكون ملحوظاً، إلا أنه قد يمثل جـزءاً صغيراً فقط من نشاط المتمردين بشكل عام. فنشاطات المتمردين غير المرئية تشمل التدريب والأعمال اللوجستية. وهذه الأنشطة الداعمة تديم التمردات. وهي تأتي من قدرة التمرد على تكوين الدعم الشعبي.

ويحتاج المتمردون عادة مثلهم مثل القوات العسكرية التقليدية، إلى المزيد من المساندين أكثر من احتياجهم لمزيد من المقاتلين. وقد تكون شبكات دعم المتمردين كبيرة، حتى عندما تكون مستويات العنف منخفضة، لذلك يكون من السهل مراقبتها في المراحل المبكرة من تطور التمرد.

إن تقويض الدعم الشعبي للتمرد من أكثر الوسائل فاعلية في الحد من قدرات دعم المتمردين. ومع ذلك، يظل تحديد قدرات الدعم ونقاط ضعفه أمراً مهما. وإن القيام بذلك يتيح للمحللين تقييم مسارات التهديد المحتملة للعمل. ومثل ذلك التحليل يتيح للقادة تحديد نقاط ضعف شبكة دعم المتمردين

وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا

سورة الفرقان الآية (٥٢)





بيان علماء مسلمين بشأن اختفاء مريم رضوان وأطفالها

”بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبعد،

فقد تابعنا، ما نُشِر عن الأخت المسلمة/ **مريم رضوان أرملة المهندس عمر رفاعي سرور** رحمه الله الذي قضى في ليبيا على يد قوات حفتر، حيث تواترت مصادر الأخبار المصرية والليبية على أن السلطات المصرية تسلمت السيدة مريم وأطفالها الثلاثة: فاطمة (٤ أعوام) وعائشة (عامان ونصف) وعبد الرحمن (٦ أشهر).

كما تابعنا كيف لفت المهندس/ **خالد حربي مدير المرصد الإسلامي لمكافحة التنصير** الأنظار إلى قضيتها بإضرابه عن الطعام وهو معتقل في سجن العقرب! وكشف لنا هذا الإضراب أمرا مفصليا في الموضوع، وهو أن السيدة مريم كانت نصرانية ثم أسلمت، وذلك قبل زواجها من عمر رفاعي رحمه الله، ومن ثَمَّ فهناك تخوف على مصير هذه السيدة وأطفالها من أن يكون جرى تسليمهم إلى الكنيسة، وهو تصرف معتاد من السلطات المصرية منذ أيام المخلوع حسني مبارك وقد تكرر مع وفاء قسطنطين، وكاميليا شحاتة، وماری عبد الله زكي، وتريزا ابراهيم، ومريان مكرم، وعبير ناجح إبراهيم، وأخريات لم يُعرف حتى الآن شيءُ عن مصيرهن.

ويقوي هذا الاحتمال انقطاع أخبار السيدة وأطفالها من بعد وصولهم إلى الأراضي المصرية ومر على ذلك أربعة أشهر! وهي مدة طويلة للغاية لا يتصور معها بقاء سيدة وأطفالها الصغار قيد التحقيق كل هذه الفترة، مع معرفتنا بأن وسائل انتزاع المعلومات بالتعذيب وإساءة المعاملة لا يكاد يصمد لها أحد.

وانطلاقا مــن واجبنا فـي بيان الحق وعدم جواز تأخير البيان عن وقت الحاجة، فإننا نقرر الآتي:

أولا: احتجاز هذه السيدة وأطفالها الثلاثة باطل وحرام بموازين الشرع والدين، وهو جريمة كاملة بموازين القانون المصري والقوانين والأعراف الدولية و الإنسانية، ويجب الإفراج عنها فورا.

ثانيا: أما فرض تسليمها إلى الكنيسة، إن حدث، فهو ردة عن الإسلام، وخروج عن شرائعه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسْلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة".

وهذه الحالة اجتمع فيها تسليم مسلمة لمن يؤذيها ويفتنها في دينها، وإعانة على تنصير أربعة من المسلمين المستضعفين، بالإضافة إلى الصد عن سبيل الله بإخافة من يريد الدخول في الإسلام من هذا المصير.



وقد حكم العلماء بكفر من فعل أقل من هذا، كقولهم بكفر من أَخَّر إسلام الكافر ولو لحظة، ومن ذلك ما قاله **الإمام النووي رحمه الله:** " اتفق العلماء على أن من جاء يسأل عن الإيمان وكيفية الدخول فيه وجب إجابته وتعليميه على الفور " (شرح مسلم ١٦٥/٦) **وقال الإمام ابن حجر الهيثمي:** " ومن المكفرات أيضا أن يرضى بالكفر ولو ضِمْنًا، كأن يسأله كافر يريد الإسلام أن يُلَقِّنَه كلمة الإسلام فلم يفعل، أو يقول له: اصبر حتى أفرغ من شغلي أو خطبتي لو كان خطيبا " (الإعلام بقواطع الإسلام ٣٥٥/٢) .

وقد أفتى علماء **"جبهة علماء الأزهر الشريف"** بأن " كل من ساهم في خذلان من اختار الإسلام دينا، أو دلَّ عليه عدوه، أو أسلمه إلى الكنيسة فهو مرتد عن الملة، ساع في استئصالها ". ولا تكاد كتب الفقهاء تتناول مسألة كهذه المسألة لأنها لا تُتَصَوَّر، وغاية ما ناقشوه أن يكون المسلمون في استضعاف وفُرِضَت عليهم شروط صلح منها تسليم بعض المسلمين، وجمهور العلماء على رفض هذا ومنعه، وأجمعوا على منع هذا في النساء.

- ويدخل في حكم من سلم مسلمة لمن يفتنها في دينها من أمر بذلك وساعد فيه أو رضي عنه.

- ونرى لزاما على كل من يملك التحرك في هذه القضية أن يستفرغ وسعه في سرعة إظهار هذه السيدة وأطفالها وإرجاعهم لأهل زوجها.

- وعلى أصحاب الأقلام والمنصات الإعلامية أن يقوموا بدورهم في فضح هذه الجريمة.

- وعلى أهل العلم والرأي والمهتمين بملفات حقوق الإنسان أن يتحركوا في هذه القضية الإسلامية الإنسانية، فإنها من آكد واجبات الإسلام وفي الصدارة في مواثيق حقوق الإنسان.

والله من وراء القصد وهو الهادي سواء السبيل.





الموقعون

(١) د. محمد عبد المقصود (الفقيه الأصولي)
(٢) د. نشأت أحمد (أستاذ التفسير وعلوم القرآن)
(٣) د. صفاء الضوي العدوي (أستاذ الحديث الشريف)
(٤) د. عطية عدلان (أستاذ الفقه الإسلامي والسياسة الشرعية)
(٥) د. محمد الصغير (وكيل اللجنة الدينية بالبرلمان المصري)
(٦) د. منير جمعة (عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين)
(٧) د. حاتم عبد العظيم (أستاذ الفقه والشريعة الإسلامية)
(٨) الشيخ حسام فوزي جبر (القاضي الشرعي ورئيس لجنة فض المنازعات بسيناء)
(٩) داعي الإسلام الشهال (مؤسس التيار السلفي (لبنان)
(١٠) د. سلامة عبد القوي (مستشار وزير الأوقاف الشرعي)
(١١) د. عمر عبد العزيز القريشي (أستاذ العقيدة الإسلامية بجامعة الأزهر)
(١٢) د. محمد هشام راغب (الداعية الإسلامي)
(١٣) الشيخ وجدي غنيم (الداعية الإسلامي)
(١٤) الشيخ جمال عبد الله (عضو لجنة الفتوى بالأزهر)
(١٥) د. عبد الرحمن يوسف (من علماء الازهر)
(١٦) على أبو خضير (وكيل وزارة الأوقاف الشرعي ببورسعيد)
(١٧) خالد فياض (مدير عام الدعوة لأوقاف الإسكندرية)
(١٨) يوسف عبد الدايم (من علماء الأزهر الشريف)
(١٩) عصام فايز عبد اللطيف (إمام وخطيب)
(٢٠) أسامه محمود العرند (عضو الاتحاد العالمي للعلماء المسلمين)
(٢١) د. محمود القلعاوى (عضو الاتحاد العالمى لعلماء المسلمين)
(٢٢) سعد عبد الباسط عبد السلام (عضو الاتحاد العالمي لاتحاد المسلمين)
(٢٣) الراعي محمد ابو المكارم (مفتش بالاوقاف، عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين)
(٢٤) علي الإمام مصطفي المنزلاوي (إمام وخطيب ومدرس بالأوقاف)
(٢٥) أحمد جابر علي (عضو لجنة الفتوى بالأزهر، عضو الإتحاد العالمي لعلماء المسلمين)
(٢٦) عبدالغني البلتاجي (دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن.)
(٢٧) أبو بكر حسين (عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين)
(٢٨) شريف عبادي (الداعية الإسلامي)



لَبـرَلة الولاء والبراء (١/٢)

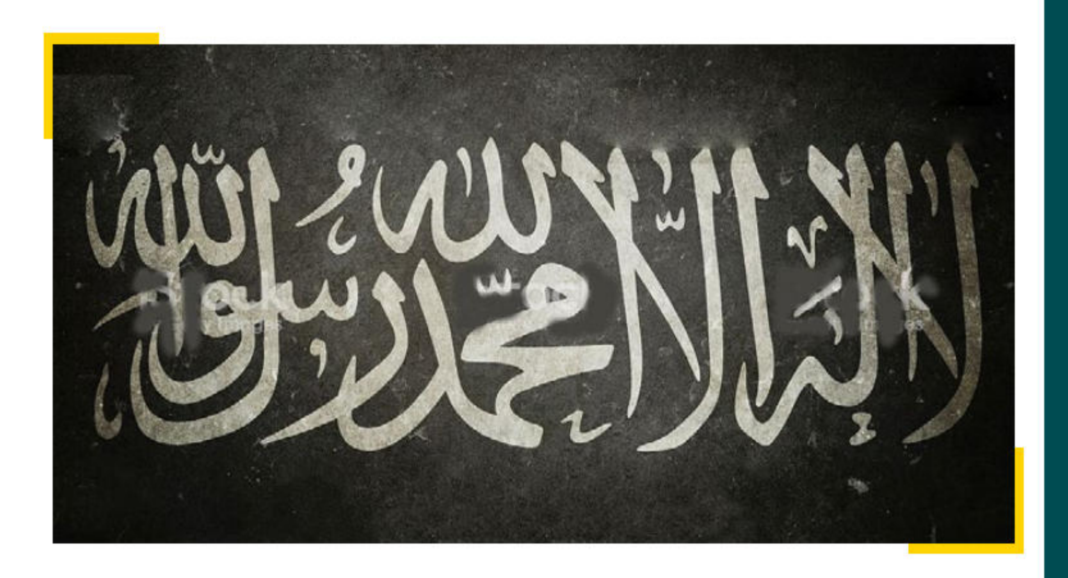
إبراهيم السكران*

في الأوساط المحلية طرح كثيراً موضوع ضرورة إعادة قراءة الولاء والبراء وقضايا بغض الكفار والزوجة الكتابية ونحوها، وكل هذه القراءات والمراجعات طبعاً تحت وطأة موجات الحرية الليبرالية الغالبة؛ فليست قراءة علمية معرفية تتوخى البرهان؛ بل هي قراءات تستهدف بشكل مكشوف تخفيض مضمون الولاء والبراء ليقترب من نظرية الحرية الليبرالية؛ فالولاء والبراء في القرآن يقيم نظام العلاقات على أساس العقيدة بينما الحرية الليبرالية تقيم نظام العلاقات على أسس مادية.

والطريف في الأمر أنني لما تأملت في كلامهم وجدت أنهم لم يتخلوا عن الولاء والبراء مثقال ذرة، ولم يتغير عندهم أي شيء حول وجود الولاء والبراء في تصرفاتهم وسلوكهم، وإنما الذي تحول عندهم هو أرضية الولاء والبراء، أو المبررات التي تستحق الولاء والبراء فقط؛ فقد كانوا سابقاً يقولون يجب أن يبغض الإنسان كل مَن كفر بالله بغضاً دينياً، ثم صاروا الآن يستفظعون ذلك، لكن لو قلت لهم إنني أحب من يعادي وطني لشنعوا عليك، ولو قلت لهم إنني أحب من يعادي وطني لاعتبروا ذلك تطرفاً وتخلفاً.

* ننشر هذا المقالة للباحث إبراهيم السكران – المعتقل ظلماً بالسعودية – وهي مقتطفة من كتابه: سلطة الثقافة الغالبة، ص ١٩٤ وما بعدها، ط: دار الحضارة، ط١، الرياض، ١٤٣٥.

فالقضية فيما يبدو ليست تخلياً عن الولاء والبراء، وإنما إعادة تحديد لمن يستحق الولاء والبراء؛ فقد كانوا سابقاً يقولون إن الله هو المستحق لأن يكون الولاء والبراء على أساس القرب والبعد عنه، صاروا يقولون إن وطنهم هو الذي يستحق الولاء والبراء على أساس القرب والبعد عنه، هذه كل القضية بحسب دراستي لهذه الأطروحات؛ فالولاء والبراء لم ينتهِ لحظة واحدة، ولكن تحول على أساس الولاء والبراء من الله إلى الأرض، كما أشار تعالى فقال: {ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه}. [الأعراف ١٧٦] وقال تعالى: {اثّاقلتم إلى الأرض} [التوبة: ٣٨] وهكذا كان فريق من الناس في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعاملون مع الجهاد على أسس أرضية، لا على أسس عقدية، فهم لم يرفضوا القتال ولكن يرون القتال مبرراً على أساس الأرض لا العقيدة، كما قالوا في تحليلهم الفكرى لجهاد الرسول صلى الله عليه وسلم: {وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مُقام لكم فارجعوا} [الأحزاب ١٣]



إنه مشهد يتكرر ولكنه يتكرر بألم، حين تكون الأرض أغلى في نفوسنا من الله، فيكون الولاء والبراء والبغض والمعاداة على أساس الأرض أمراً مقبولاً بل رقياً فكرياً، لكن الولاء والبراء والبغض والمعاداة على أساس القرب والبعد من الله فهذا كله تخلف وتقوقع في قراءات ضيقة لبعض النصوص.

الأمر لا يحتاج بتاتاً كل هذه الفذلكة، لكن لأن العقيدة انهارت في النفوس وتشبعت القلوب بالإخلاد إلى الأرض، فقد فزع البعض إلى عيون الزوجة الكتابية لعلهم يجدون بين مشاعرها عذراً لنقل ولائهم وبرائهم من الله جل جلاله إلى الأرض. القضية باختصار شديد لو كانوا يريدون الحق أن كل كافر هو عدو الله بمجرد كفره؛ كما قال تعالى: {فإن الله عدو للكافرين} [البقرة: ٩٨] وأخبر أنه {لا يحب الكافرين}، وقال {ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مَقتاً} [فاطر: ٣٩] وأخبر أن عداوة المؤمن تبع لعداوة الله؛ كما قال تعالى: {إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً} [النساء: ١٠١]

فكل مؤمن لابد أن تقوم في نفسه العداوة القلبية الدينية لكل عدو لخالقه ومولاه جل وعلا، فإن لم يجد هذه العداوة القلبية الدينية لأعداء ربه سبحانه فليبكِ على إيمانه، ولو كمل حب الله في قلبه فيستحيل أن يحب خالقه وعدو خالقه في آن واحد، إلا إن كان المؤمن يتجرأ ويقول إن أعداء الله أحباب له فهذا شأن آخر، أو كان المرء يقول إن الكافر إذا لم يحاربنا فهو ليس عدو الله وإذا حاربنا فهو عدو الله، فصارت كرامته أعظم من كرامة الله! فهل يقول هذا عاقل؟ فأي تحد لله تعالى أن نقر أن الله عدو لجميع الكافرين وأن الله لا يحب جميع الكافرين، ثم نتحدى ربنا جل وعلا ونقول أما نحن فنحب بعض الكافرين؟



وتأمل معي في قوله تعالى: {هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ} [آل عمران:١١٩] فهؤلاء قوم مظهرون للمسالمة بل يُظهرون غاية المسالمة، حتى أنهم إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنّا،

ومع ذلك يلوم الله المؤمنين على حبهم ولم يُبِح لهم حبهم بحسب ظاهرهم.
ثم تأمل معي كيف انعكست آيات البراء وبغض الكفار على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فمن ذلك أن أسماء بنت عميس وهي ممن هاجر إلى الحبشة، تقول كما في صحيح البخاري: "كنا في أرض البُعَداء البُغَضاء بالحبشة". فانظر في قول هذه الصحابية الجليلة! فأهل الحبشة مسالمون بل نفعوا أصحاب النبي، وفرّوا لهم لجوءاً سياسياً في وقت الأزمة مع قريش، ومع ذلك تسميهم البغضاء، **لماذا؟**

لأن هذه الصحابية الجليلة استوعبت درس القرآن جيداً، وأن كل كافر هو قطعاً عدو لله، مبغوض له مهما كان، مسالماً عسكريا، ولما بعث نبي الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة إلى اليهود لخرص الثمار، خافوا أن يظلمهم فقال لهم -كما عند أحمد بسند صحيح-: "يا معشر اليهود أنتم أبغض الخلق إلي، وليس يحملني بغضي إياكم على أن أحيف عليكم". فهؤلاء كفار مسالمون وليسوا محاربين، ومع ذلك يستعلن رضى الله عنه ببغضه لهم. وأمثال هذه النماذج كثيرة في سيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، من بغض الكافر حتى لو كان مسالماً.



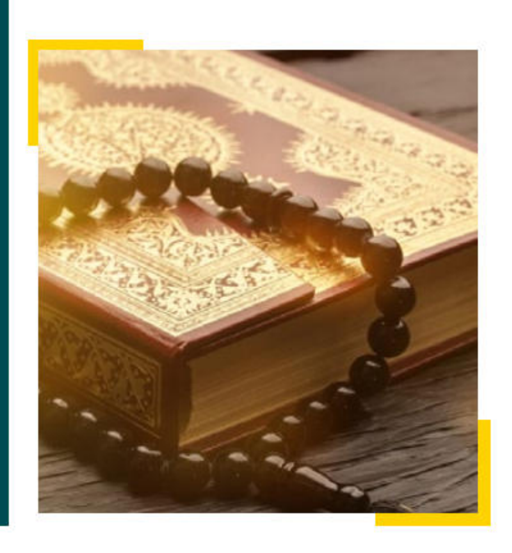
"ومن الطرائف أن بعض الناس لكى يتخلص من هذا الأصل الشرعي العظيم، صار يسلك استراتيجية إلصاق أحكام البراء بالوهابية، ويدعي أننا أسرى الفكر الوهابي، وأن مسألة بغض الكفار جميعاً إنما هي فكرة وهابية... إلخ، وهي حيلة ساذجة للتخلص من قاعدة شرعية، والواقع أن قاعدة البغض العقدي للكافر قد أطبقت عليها المذاهب الأربعة لأهل السنة والجماعة، وليس مسألة ابتكرتها "الدرر السنية".

فقد قال السرخسي الحنفي: "وهكذا ينبغى لكل مسلم أن يكون في بغض اليهود بهذه الصفة". وتعرض القرافي المالكي لبعض الأوامر الشرعية فقال: "حب المؤمنين وبغض الكافرين وتعظيم رب العالمين، وغير ذلك من المأمورات". وقال ابن الحاج المالكي: "واجب على كل مسلم أن يبغض في الله مَن يكفر به". وقال الشيخ عليش المالكى: "نفوس المسلمين مجبولة على بغض الكافرين". وفي أشهر متون الشافعية: "وتحرم مودة الكافر". وقال العز بن عبد السلام الشافعي: "جنايته على أمر نفسه بالكفر أخرته وأوجبت بغضه". بل هذا ابن سعدي الذي يحاول البعض تزوير صورته وأنه كان فقيهاً تغريبياً مبكراً يوضح التلازم بين الإيمان بالله وبغض الكفر فيقول: "الإيمان يقتضي محبة المؤمنين وموالاتهم وبغض الكافرين وعداوتهم".

والمراد أن نصوص فقهاء المذاهب الأربعة لأهل السنة كثيرة في منع حب الكافر، فكيف يزعم البعض ويدعي أن وجوب بغض الكافر فكرة وُلدت في "الدرعية" وانتهت مع مؤتمرات حوار الأديان؟ أم أن أئمة المذاهب الأربعة في القرون الأربعة المتقدمة حفظوا في صغرهم "كشف الشبهات"؟ أم أرسلت إليهم نسَخ من "الدرر السنية"؟

وهؤلاء الذين يسعون لِلَبرلة الولاء والبراء يتمسكون ببعض التأويلات للنصوص والمفاهيم الشرعية، وسأناقش بعضها:

◎ فأما قولهم: "إننا نقر أن الله أمر بمعاداة أعدائه؛ كقوله تعالى: "لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء" [الممتحنة:١] لكن هذه في المعتدي وليس كل الكفار أعداء الله". فهل يقول هذا مَن قرأ كتاب الله؟ فكل كافر هو عدو لله أصلاً؛ كما قال تعالى: {فإن الله عدو للكافرين} [البقرة: ٩٨]، وقال تعالى: {إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً}. [النساء: ١٠١]



◎ وأما قولهم: "إننا نقر أن الله نهى عن موالاة الكفار، لكن آيات النهـي عن مـوالاة الكافر لا يلزم منها النهي عن حبهم والأمر ببغضهم؛ لأن الموالاة فيها قدر زائد على مجرد الحب والبغض وهي النصرة". **فالجواب أن الموالاة لفظ عام يشمل الحب والنصرة؛ فالحب موالاة والنصرة موالاة، والنهي عن العام يشمل جميع أفراده، ومن ظن أن الموالاة لا تكون إلا لما تركب منهما فقد خالف النص الذي منع الحب؛ كقوله" { هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ} [آل عمران: ١١٩] وهي في المسالمين. وخالف إجماع الفقهاء على منع حب الكافر ومودته، فضلاً عن مخالفته لما حرره الفقهاء المحققون؛ كقول الإمام ابن تيمية: "وأصل الموالاة هي المحبة، كما أن أصل المعاداة هو البغض".**



◎ وأما قولهم: "إننا نقر أن الله نهى عن موادّة من يحادّ الله ورسوله، لكن المحادّ هو المحارب". **فهذا تحريف لكتاب الله، فإن الله تعالى قال: {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ} [التوبة: ٦٢-٦٣] فهؤلاء الذين حلفوا لرسول الله ليسوا محاربين، ومع ذلك جعلهم الله محادين، ولما ذكر الله حدود الله في مطلع المجادلة قال: {إن الذين يُحادُّون الله} [المجادلة:٥] ومعلوم أن انتهاك حدود الله ليس محاربة ومع ذلك جعله الله محاداة لله جل وعلا، فإن كان هؤلاء يجعلون المحادّة هي المحاربة فهذا باطل بكون الله في كتابه سمى ما دون المحاربه محادة، وإن كان هؤلاء يجعلون المحادة كل قول وفعل يسيء إلى الله وكتابه ونبيه وشريعته فلا يكاد يوجد كافر معاصر لا يسيء لأحكام الله في التعدد والقوامة والحجاب والقرار في البيوت والقتال... إلخ.**

فهؤلاء يقولون لنا إن الموادّة المنهي عنها مخصوصة بالمحادة، فإذا قلنا لهم هؤلاء الذين يسيئون لأحكام الشرع من مستشرقين وسياسيين ومفكرين وعامةً في المجتمعات الكافرة لكنهم مسالمون غير محاربين، فهل يجوز مودتهم؟ عادوا وتناقضوا وقالوا نعم يجوز لأنهم غير محاربين! وتركوا علتهم الأولى وهي المحادة بمعنى الإساءة. وليس مقصودنا هاهنا المرادفة بين الكفر والمحادة؛ فإن المحادة بلا شك قدر زائد على مجرد الكفر كما قرره ابن تيمية في الصارم المسلول، وإنما المراد أن المحادة أوسع من المقاتلة.

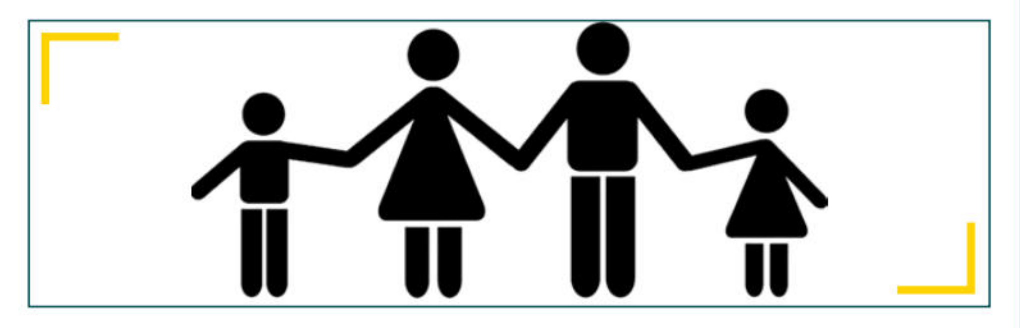
وأما احتجاجهم بترخيص الشارع في الزواج بالكتابية وأن هذا ينقض كل الآيات والأحاديث والآثار وإطباق المذاهب الأربعة.. فقائل هذا الكلام ليست إشكاليته إشكالية مسألة مفردة بعينها؛ بل لديه إشكالية منهجية، وهي ترك الأصول الظاهرة وتحويل الاستثناء والمحتمل إلى القاعدة.

والجواب من استدلالهم بأن الله أباح الزواج بالكتابية والزواج يفضي للمودة، أن يُقال المودة الحاصلة بالزواج بالكتابية هي أمر كوني قدري، وأمر الله ببغض الكافر أمر شرعي ديني، وأوامر الله الشرعية لا يعترض عليها بالأمور الكونية، والمحتج بذلك هو نظير من يقول إن الله خلق الخلق مختلفين ولن يزالوا كذلك فلا داعي للأمر بالجماعة والائتلاف، فأبطل أمر الله الشرعي بالأمر الكوني، أو كمن يقول إن الله قضى على العباد أن تقع منهم المعاصي وأخبر أن بني آدم مذنبون خطاؤون، وعليه فلا داعي لأن ننهى الناس عن المعاصي، فأبطل أمر الله بعدم معصيته بناء على الأمر الكوني من وقوع المعاصي، وهكذا، فكيف يعترض على أمر الله ببغض الكفار بأمر كوني قدري وهو وقوع المتزوج في حب زوجته؟



ثم إنه لا يمتنع أن تكون بين الزوجين عداوة دينية؛ كما قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ} [التغابن: ١٤] فالله أثبت احتمال قيام العداوة الدينية بين الزوج والزوجة؛ فلا أدري لماذا يأخذون آية {خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً} [الروم:٢١] والتي تتحدث عن المودة القدرية الكونية ولا يضعون معها هذه الآية (التغابن ١٤)؟ والتى تثبت احتمال قيام العدواة الدينية؟

ثم إن المودة التي ذكرها الله بين الزوجين لا يلزم منها أن تكون دوماً هي الحب؛ بل قد يكون المراد بها الصلة والإحسان؛ كما قال تعالى: {قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} [الشورى: ٢٣]؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم لا يطلب أن يتحاب مع كفار قريش، وإنما كما في صحيح البخاري عن ابن عباس أنه قال إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة فقال: "إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة".



ثم إن ما يجده الإنسان في نفسه من الولاء والحب لوالده وشقيقه، أعظم مما يجده من الولاء لزوجته، ومع ذلك قطع الله موالاة الأب الكافر المسالم والشقيق الكافر المسالم؛ كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [التوبة: ٢٣] ثم إن أهل العلم بيّنوا أن مورد الأمرين مختلف أصلاً؛ فبغض الكافر المسالم وعداوته القلبية هي بغض وعداوة قلبيه دينية، أما المودة التي تقع بين الزوج والزوجة فهذه مودة غريزية فطرية، ولا يمتنع أن يجتمع في الشخص الواحد الأمران.

[يتبع العدد القادم (التحرير)]



معظم مدربي التنمية البشرية الذين استمعت لهم لا يعتمدون في دوراتهم المتعددة على النموذج الإسلامي المأخوذ من الكتاب والسنة والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي . اعترضت عليهم كثيراً في الاكتفاء بالاستشهاد بالنماذج الغربية في العلم والتعلم والقيادة والإدارة وكأننا ليس لنا إسهام بل سبق في كل ما سبق.

كنت أرى أن مثل هذه التنمية ضارة بنا، لأنها تعمق فينا وفي شبابنا البعد عن مصدر التلقي الأول، والقرب من النموذج الغربي وكأنه صاحب السبق الأوحد. لم تُذكر حالة من حالات النجاح الغربية التي استشهدوا بها في شتى نواحي التدريب، إلا وذكرت لهم نظيرها أو أفضل منها في تاريخنا المجيد.

تحويل القيم الإسلامية ونماذج النجاحات الكبرى في تاريخنا إلى دورات تدريبية للشباب للوقوف على ذخائر التراث وتربية الأمة عليها، أصبح ضرورة وفريضة في واقعنا المعاصر.

أذكر لكم بعض شذرات في مقياس النجاح لأي قيادة، وبالأخص القيادة التي تدير ثورة، لأنها تكون دائماً أمام حالة استثنائية في إدراك النجاح حيث التحديات الكثيرة، والمواجهات المتعددة، فالقيادة الثورية في أمس الحاجة إلى هذه القيم والمبادئ، حتى تقدم ثورتها للأمام ولا تتراجع بها للوراء.

القرآن الكريم به من الإشـارات المباشرة وغير المباشرة لنجاح القيادة في مهمتها، وكذا السنة النبوية بأقوالها وأفعالها وتقريراتها، وسيرة الخلفاء التي امتدت فى عمر الزمن البشري ثلاثون عاماً من النجاح والفلاح والفتح والنصر والتمكين لمكارم الأخلاق ولحياة أفضل في المشرق والمغرب.

اخترت لكم على سبيل المثال ثلاث إشارات قرآنية لنجاح القيادة الثورية في كسر الانقلاب وعودة الشرعية وتبني وإيمان الأمة بالمشروع الإسلامي وزيادة الثقة فيه، واستشراف المستقبل وتحدياته الكبيرة.



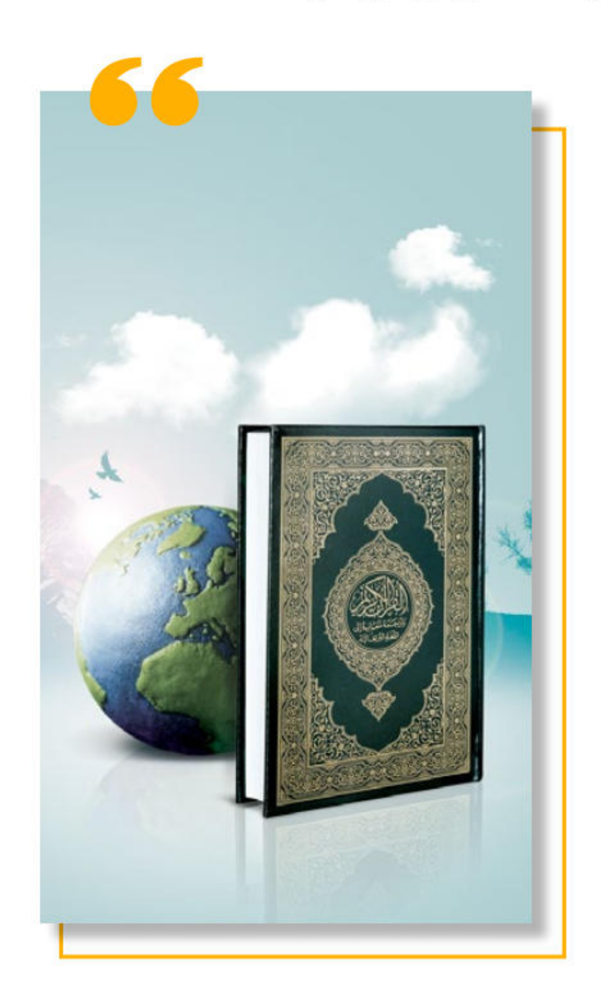
في نظري هناك أركان أربعة إذا لم تنجح القيادة الثورية في التعاطي معها بكل قوة وجدية لن تنجح أبـداً، وهى الوقوف على طبيعة الشعب المـصـري ودراســـة مـزاجـه النفسي والـروحـي والمـادي، والعمل على كيفية التأثير فيه بالتثوير أو العصيان المدني على الأقل، هذا **أولاً** .

- معاجلة الصف الثوري وتقوية وحدته وقوته وتماسكه، الإسلامي منه وغير الإسلامي، ووضع البرامج والآليات التي تجمع ولا تفرق، وتوحد ولا تمزق هذا **ثانياً**.

- أما **ثالثاً** فهو الوقوف على المشهد الانقلابي بمعرفة قوته وضعفه، نجاحه وفشله، تقدمه وإخفاقه، أدواته ورجاله، أنصاره وأشياعه وأعداؤه بمعلومات دقيقة لا تهوين فيها ولا تهويل لها.

- **الركن الأخير** وهو المشهد الإقليمى والعالمي الداعم أو الرافض للانقلاب، ومدى قدرة الإدارة الثورية على إحداث تأثير جوهري في هذا المشهد.

الإشارات القرآنية التي اخترتها لهذه الأركان الأربعة اهتمت بوضع سياسات عامة وقواعد كلية واستراتيجيات جامعة، لإحداث حالة النجاح المطلوبة.



الآية الأولى: هي قوله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ في الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (آل عمران: 951)

الآية جامعة لمعاني كثيرة لايمكن حصرها في هذه المقالة، وإنما يكفي الإشارة إلى التالي:

الأصل في القيادة الرحمة والعفو واللين وغفران الذنوب وعدم الإقصاء، هذه يأتي بلا شك في غالبه في الركنين الأول والثاني، فالتعامل مع عموم الشعب الذي كفر بعضه بنعمة الله، وعاند ووقف ضد مصلحته، لا يمنع ذلك أبداً من التعامل معه ببعض الرحمة والشفقة والعفو لمن يستحقه، ولا نحاسبه على الصغير والفتيل والقطمير الذي وقع منه.

إذا كان هذا التعامل يأتي مع عموم الشعب فبالأولى مع عموم الصف الثوري، الذي معظمه إن لم يكن كله أخطأ في حق نفسه أو أتباعه أو حلفائه أوأشقائه.



الآية كما تعلمون نزلت بعد غزوة أحد والتي تنبى فيها رسول صلى الله عليه وسلم رأي الشباب بالخروج، ثم حدث ما وصفه القرآن للصحابة في الغزوة بالقرح، وكاد أن يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك كان سببه (مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ) [آل عمران:١٥٢] وعصيان الرماة لأمر رسول الله صلي الله عليه وسلم بعد كل هذا التقصير من بعض الصف الرباني، إلا أن القرآن نزل بالعفو والصفح واللين وعدم الإقصاء وبأخذ المشورة منهم.

هنا نقول بكل وضوح: إن القيادة التي تريد أن تصفي الحسابات مع الآخرين الذين أخطأوا في حقها في زمن ما، هي قيادة فاشلة بامتياز، إذ إن همها الأكبر ليس إنجاح الثورة، إنما الانتقام لنفسها وبيان أنها كانت أحق من غيرها بسياسة الأمور، والقيادة التي تعتمد الإقصاء للآخر لمجرد الاختلاف المحمود في وجهات النظر قيادة فاشلة بكل أريحية، القيادة الناجحة هي التي تجمع حولها الأقوياء، لا الضعفاء الذين يسيرون في ركابها ويحققون أهواءها.

بعض القيادات الإسلامية للأسف منهجهم وأسوتهم في القيادة محمد على باشا، الذي قتل المماليك وأبعد كل من سانده وساعده، وليس منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جمع حوله أبا بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم، وكان يفرح بالأقوياء فيدعو لهم بالإسلام بأسمائهم، ولما أسلم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضى الله عنهما فرح وسر وقال: "لقد ألقت إليكم مكة بأفلاذ أكبادها ".

القيادة التي ترى نفسها ولا ترى صفها قيادة عمياء خرقاء صماء، لا نجاح معها ولا يُرجى منها زرع أو ماء، من أراد النجاح للثورة فليكن متواضعاً لصفه، كبيراً بقلبه وعقله وصفاء نفسه، مقرباً للأقوياء حذراً من الضعفاء والدهماء .



الآية الثانية: وهي قوله تعالي: {وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ...} [الشورى:٣٨] دلالة لفظ بينهم كبيرة وجليلة وخطيرة، فأمر القيادة لا يخرج إلا من أهل الحل والعقد، أهل الاختصاص والخبرة، العشوائية فضحتنا أمام الدنيا كلها، وأصبحت سيرة الإسلام على لسان كل من هب ودب، من فرديتنا في إدارتنا، وكأننا معصومون من الزلات والهفوات.

⬅ القيادة التي لا تصنع حولها إدارات متخصصة ومراكز بحثية متعددة قيادة فردية، ولو كان عددها كبيراً .

الشورى عند العقلاء عقل القيادة ولبها، وحسنها ونجاحها، والقيادة التي تتجاوزها أو تحيك شورى على مقاس المصالح الفردية أو الجزئية قيادة مجرمة في حق نفسها وأمتها، وعقابها أمام الله أولاً ثم أمام التاريخ شديد وعظيم.

لا أنسى أبداً يوم **٣٠ \ ١١ \ ٢٠١٥ م** عندما اتفقت كلمة جميع المكاتب الإدراية التي تمثل الإخوان في أنحاء الجمهورية، على أن الثورة بكل معانيها ومفرداتها هي الحل الأمثل والقرار الناجع، والتراجع عن ذلك خطيئة كبري في حق الثورة والثوار والشهداء، وفي نفس الجلسة يأتي قرار ممهور باسم فرد بأن هذا التصور ملغى تماماً من أدبيات الإخوان، ويجب على جميع الصف أن ينصاع لأمره هو فقط، ومن اعترض انطرد وقيل عنه منشق وخوارج ومن أهل العنف والإرهاب.



الآية الأخيرة: وهي قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) [التوبة:٧٣]



أعلم تمام العلم أن الآية وحدها ليست ضابطة للمشهد الانقلابي والعالمي المعاند للثورة والمناصر والداعم للحرب على الحريات وكرامة الشعوب، لكن ما أقوله هنا باختصار شديد الآتي:

إن إخراج معادلة القوة وإحداث النكاية في العدو بضوابطها الشرعية من الرؤية والأهداف الكبري، زلل وانحراف عن طبيعة الشرع الحكيم، وكذا القوانين العادلة التي تبيح للأمم المستعمرة الدفع عن نفسها أمام استكبار عدوها، كما أن أمر الجهاد ليس محصوراً في الكفار فقط وإنما يشمل كل منافق يتستر بزي الإسلام أو يتغطى بعباءته.



ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة

فضيلة الشيخ عطية صقر
رحمه الله *

سئل فضيلة الشيخ العالم الأزهري عطية صقر:

ما التهلكة الواردة في قوله تعالى (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)؟

فأجاب رحمه الله:

هذا جزء من الآية { وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ * وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [البقرة:١٩٥] جاءت هذه الآية بعد آيات تتحدث عن الجهاد في سبيل الله، وفيها أمور ثلاثة، أولها الأمر بالإنفاق في سبيل الله، وثانيها النهي عن الإلقاء بالأيدي إلى التهلكة، وثالثها الأمر بالإحسان، أما الإنفاق في سبيل الله فمعناه واضح وإن كان سبيل الله واسع الميدان فمن أهمه الجهاد، وكذلك الإحسان واضح المعنى فهو يلتقي مع الإنفاق في سبيل الله في أكثر مظاهره وإن كان من معانيه الإجادة والإتقان والإخلاص في أي عمل. على ما جاء في الحديث «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».



وأما الإلقاء بالأيدي إلـى التهلكـة ففـي تفسيره عدة أقـوال: لا تتركـوا النفقـة ولا تخرجوا إلى الجهاد بغير زاد ولا تتركوا الجهاد، ولا تدخلوا على العدو الذي لا طاقة لكم به ولا تيأسوا من المغفرة وقد قال الطبري: هو عام في جميعها، كما ذكره ابن العربي في أحكام القرآن.

ومن الوارد في ذلك ما رواه البخاري عن حذيفة أن الآيـة نزلـت في النفقـة، وكذلك قال ابن عباس وعكرمة وعطاء ومجاهد وجمهور الناس كما ذكره القرطبي، وقال المعنى لا تلقوا بأيديكم بأن تتركوا النفقة في سبيل الله وتخافوا العيلة فيقول الرجل: ليس عندي ما أنفقه. وذكر القرطبي خمسة أقوال في تفسير هذه الآية. وقال: روى الترمذي عن يزيد بن أبي حبيب عن أسلم أبي عمران أنهم في غزو القسطنطينية حمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس: إنه يلقي بيديه إلى التهلكة! فصحح لهم أبو أيوب الأنصاري معنى الآية بأنها نزلت في الأنصار لما نصر الله نبيه وأظهر دينه قالوا: هلم نقيم في أموالنا ونصلحها لأنها ضاعت. فالتهلكة هي الإقامة على الأموال وإصلاحها وترك الغزو.

ثم تحدث القرطبي عن حكم اقتحام الرجل في العرب وحمله على العدو وحده.
وقال: إن بعض العلماء المالكية أجازوا أن يحمل الرجل وحده على الجيش العظيم إذا كان فيه قوة وكان لله بنيّة خالصة، فإن لم تكن فيه قوة فذلك من التهلكة، وقيل إذا طلب الشهادة وخلصت النية فليحمل، لأن مقصوده واحد منهم كما قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ }.

وقال ابن خويز منداد: فأما أن يحمل الرجل على مائة أو على جملة العسكر أو جماعة اللصوص والمحاربين والخوارج فلذلك حالتان: إن علم وغلب على ظنه أنه سيقتل من حمل عليه وينجو فهو حسن، وكذلك لو علم وغلب على ظنه أن يقتَل ولكن سينكي نكاية أو سيبلي أو يؤثر أثراً ينتفع به المسلمون فجائز أيضاً، وقد بلغني أن عسكر المسلمين لما لقي الفرس نفرت خيل المسلمين من الفيلة، فعمد رجل منهم فصنع فيلاً من طين وأنّس به فرسه حتى ألفه، فلما أصبح لم ينفر فرسه من الفيل، فحمل على الفيل الذي كان يقدمها فقيل له: إنه قاتلك، فقال: لا ضير أن أُقتَل ويُفتح للمسلمين ! وفعل البراء بن مالك حيلة في حرب بني حنيفة حتى دخل حصنهم وفتح الباب فدخل المسلمون.



وذكر القرطبي ما رواه مسلك في دفاع رجل من الأنصار عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقاتل العدو حتى قُتل، وفعل مثله العدد القليل الذين أحاطوا بالرسول، وهذا دليل على أن المخاطرة التي فيها منفعة للمسلمين لا بأس بها ولا تُعد من الإلقاء باليد إلى التهلكة، كما ذكر القرطبي عن محمد بن الحسن أن المخاطرة بالنفس إذا كان فيها طمع في النجاة أو النكاية في العدو لا بأس بها، وإلا كانت مكروهة لأنه عرض نفسه للتلف في غير منفعة للمسلمين، إلا إذا قصد تشجيع المسلمين حتى يصنعوا مثله فلا بأس بها لأن فيها منفعة لهم على بعض الوجوه.

ثم تطرق القرطبي من حكم المخاطرة في الجهاد إلى المخاطرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال: {وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ * إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [لقمان:١٧] وفي حديث النسائي وابن ماجه بسند صحيح: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» وجاء مثل ذلك في أحكام القرآن لابن العربي.

الشيخ عطية صقر، موسوعة أحسن الكلام في الفتاوي والأحكام، ص٣٨٢ وما بعدها، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

القضية الأكثر إلحاحاً

د. عطية عدلان

 **الحمد لله .. والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد ..**

فليس بالضرورة أن تكون القضية الأكثر إلحاحاً هي القضية الأكبر أو الألصق بآمال الأمّة وطموحاتها؛ فقد يطفو على سطح الاهتمامات قضايا جزئية ليست مُنْبَتَّةً عن القضية الأمّ ولا خارجة عن سياق العمل لأجلها، ولكنها تبدو وإن لم تكن كذلك متعارضة فيما تستدعيه من إجراءات مع ما يتطلبه الوصول للهدف الأكبر؛ لذلك يقع التعارض الوهميّ بين الغايات القريبة والغايات البعيدة، وهذا في الحقيقة أحد أعراض المرض العضال الذي أصاب الجميع بعد ما يسمى في أدبياتنا السياسية والثورية بالانقلاب العسكريّ، ألا وهو مرض **"اختلال الرؤية"**.

> والقضية الأكثر إلحاحاً والأشد طلباً وإلحافاً هي **قضية المعتقلين** ، وما يتعرضون له هم وذووهم من عسف وظلم وقهر؛ ينتهي بالكثيرين منهم بعد طول عذاب إلى مقصلة الإعدام، أمَّا القضية الكبرى التي تمثل لنا الغاية والمنتهى فهي غير واضحة المعالم، رغم كل ما نرفعه من شعارات وما نردده من هتافات؛ وهذا أيضاً أثر من آثار اختلال الرؤية، وليته كان انعداماً للرؤية؛ فلربما كان العلاج حينئذ أهون.

إنَّ قوماً لا زالوا مُصِرّين على أن يتصوروا ويصوروا للناس أنّهم حكموا وأقاموا دولة، وأنَّ ما جرى هو انقلاب عسكريّ على هذا الحكم وهذه الدولة، لا تُقِرُّه الشرعية الدولية ولا يقبله المجتمع الدوليّ، وأنّ عليهم أن يلزموا الصبر الجميل والصمت الطويل على أعتاب من يمسكون بتلابيب هذا الكوكب؛ وأن يستمروا في **"الحراك السلميّ!"** مهما كَلَّف من أبناء الدعوة الأطهار الأنقياء، ريثما يمتهد السبيل لـ**"دحر الانقلاب!"** ذلك الـ"الدحر!" الذي لا يستطيعون تقديم تفسير له ولو على مستوى المعنى اللغويّ، فضلاً عن أن يقدموا لمن يخاطبونهم بهذا الخطاب رؤية لما قبل وما بعد ذلك "الدحر!" المنتظر؛ إنَّهم لقوم لا يملكون رؤية لتحرير أنفسهم من أسر الأوهام؛ فكيف سيحررون الأسرى ويخلصونهم من مصير الإعدام؟!



ليس صحيحاً ولو بمقدار ذرة أنَّ تحرير الأسرى لدى من يمتلكون رؤية صحيحة سياق مختلف أو متعارض مع تحرير الأمَّة، وليس حقاً ولو بوزن هباءة أنَّ التنازل والتصالح حلٌّ لأزمة المعتقلين فضلاً عن أن يكون هو الحل الوحيد، وليس إلا وهماً وسراباً ذلك التصور القاضي بأنَّ السيسي والنظام العسكريّ الحاكم يعيشون أزمة من نوع ما، أزمة شرعية أو أزمة اقتصادية أو أزمة عدم ضمان الاستمرارية، أو أزمة تعارض مصالح بين قوى متعارضة، وأنَّ حل هذه الأزمات سينتهي بمجرد اعتراف الإخوان بالسيسي، أو بمجرد التوافق مع "القوى!" المتنوعة عبر اصطفاف "يطيح!" بالسيسي ليأتي بـ"بديل توافقيّ!" يرتضيه "المجتمع الدولي!"؛ فليكن هذا أو ذاك من أجل خروج المعتقلين، وعودة "الإسلاميين!" للعمل الدعوي والاجتماعي، ويتوجب على الإسلاميين عندئذ أن يأخذوا خطوة للوراء في ميدان السياسة، يقدرها بعض "المجتهدين!" بخمسة أعوام وآخرون بعشرة على التمام، كل هذا وهم خداع وسراب خلاب.

صحيح أنَّ الشعب المصريّ يعيش أزمات، لكنها وإن تضاعفت لن تمثل تهديداً لنظام يحكم بالحديد والنار، وصحيح كذلك أنَّ النظام فاشل في ممارسة الإدارة والسياسة داخلياً وخارجياً، ولكن منذ متى حَكَمَتْنا أنظمة متوشحة في حكمها بخبرة سياسية أو إدارية، ومنذ متى أعيتها الحيلة ما دامت قبضتها الأمنية ماضية وعبوديتها للغرب سارية، ثم صحيح كل الصحة أنّ هذا النظام يفتقد الشرعية افتقاد المجنون لعقله والصبي لرشده، وأنَّه يتسولها في المحافل الدولية وعلى أبواب السادة وأعتاب المتسلطين تسول العاهر لما يسد رمقها ببذل ما يستره سروالها، ولكن دلوني على فقرة واحدة في تاريخنا المعاصر باستثناء تلك السنة التي كانت في السياق كله مجرد استثناء لم يكن فيها الحكم على هذا النحو المشين المهين؛ فلنستفق من أوهامنا قبل أن نستفيق على صوت ارتطام جسد الرئيس على أرض المقصلة.

إنَّ هذا النظام الذي يمارس التعذيب والإعدام هو ذاته النظام الذي حَكَمَنَا عقوداً عديدة وأزماناً مديدة بممارسة التعذيب والإعدام، هو ذاته النظام الذي لم تنجح الموجة الأولى من الثورة في اقتلاعه ولا حتى تحييده، ولم يعط من السلطة لمن حازوا الشرعية الثورية والشعبية معاً إلا بقدر ما كان ولا يزال يعطيه لمن ينهي دراسته بنجاح وتفوق: "ورقة تخرج!"، هو ذاته النظام الذي خلفه الاحتلال ليقوم بالوكالة بذات الدور الذي كان يقوم به هو بالأصالة، وسيظل يمثله ما دام قادراً على تأمين مصالحه، فلنوسع دائرة الإبصار، ولنقم بعمل (آوت زوووم) حتى نبصر المشهد الواقعيّ بتمامه؛ علنا نظفر بؤية واضحة.

هذا النظام له دوافعه وفلسفته في الاعتقال والتعذيب والسجن والتغييب والتصفية والإعدام والقهر والإذلال، فهو يؤدب شعباً تجرأ على أن يثور على سيده ويتمرد على مالكه ووليّ نعمته، ويهذب جيلاً مما علق في ذهنه من شوائب فكرية تتعلق بالتغيير، ويمسخ من العقول والقلوب كل رغبة في الجهاد أو النضال أو ما يقترب من هذه المعاني المفزعة له ولأسياده، ويخيف بالمربوط السائب ويضرب على يد الحصيف ليخضع الخائب الرائب، وينهي من الوجود جماعة تمثل له وللنظام الدولي الذي يتحنث في محرابه وجعاً دائماً وصداعاً مستمراً، وتمثل للكيان الصهيونيّ مكمن خطر ومنصة تهديد.

وما دام الأمر كذلك فهو ماض في طريقه، حتى يأتيه "الوجع" الذي يحمله على شرب الدواء المرّ؛ فيستسيغ الْمُرَّ دفعاً للأَمَرِّ، ويضطر اضطراراً لإدارة وجهه لمن كان يدير له من قبلُ قفاه، وهذا "الوجع" وهذا الإيلام هو ذاته سبيل الوصول للهدف الكبير والغاية الأمّ، فإن سألتني كيف؟ قلت: عليّ تقرير المبدأ وإبراز المنهج الذي جاء به كتاب الله، والذي ينطلق من قوله تعالى: (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) (البقرة ٢٥١) (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) (الحج 40).



ثم يحلق في آفاق شتى من آفاق الدفع والمقاومة، تتنوع وتتدرج وتمضي في طريقها على تؤدة وريث، لا تتهور ولا تتأخر، وتتخذ في كل مرحلة من الأسباب والوسائل ما يناسب المرحلة وما تطيقه الطاقات، وهذه الأسباب والوسائل بعد إقرار المبدأ دور أهل الخبرة في تلك الميادين، فلنسألهم عندئذ؛ (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) ولتعقد ورش العمل ووحدات إدارة العمل وغير ذلك مما ينتج الأفكار ويتابع تنفيذها.



" وهذا لا يمنع من أهمية الحراك السياسيّ الرشيد، الذي يحدث الوجع والصداع أيضاً ولا يكون مبنياً على الاستجداء وحسب، مثل الفعاليات المستمرة على مستوى العديد من الدول في العالم أمام المؤسسات الدولية لإيقاعها وما يدور في فلكها من أنظمة في الحرج، مع مخاطبة المكونات السياسية المعارضة للحكومات التي تمكن للنظام المصريّ الظالم، وغير ذلك مما يمكن أن يبدع فيه الناس وتجيش له الطاقات المعطلة في المهجر. "

وهذا ليس سوى اجتهاد مني يملك كل قارئ الاعتراض عليه والانتقاد له، لكنني ألتمس ممن يعترض أو ينتقد طرح البديل عمّا طرحته بما يقنع العقول وترضى به القلوب، والله المستعان.



أنقذوا مريم رضوان وأطفالها من مخالب الكنيسة!

حامد عبد العظيم

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله وبعد:

فبينما يستمر القمع والظلم وقتل الأبرياء من السلطات المصرية، يعمل آخرون بصمت، أعني الكنيسة المصرية التي تسير وفق مخطط محكم بعناية وذي خطوات راسخة نحو ما يسمونه التحرر من الاحتلال "العربي الإسلامي"، والذي بدأ في عقيدتهم بفتح عمرو بن العاص رضي الله عنه لمصر عام ٦٤٢ ميلادية.

الكنيسة المصرية بقيادة الأنبا تواضروس رأت في عهد السيسي عهدها الذهبي وفرصتها السانحة لتوسيع إمبراطوريتها العملاقة، بمزيد من الأراضي والكنائس والمشروعات، وزيادة ميزانيتها التي تُعد الميزانية الثانية في مصر التي لا يُسمح لأحد أن يقترب منها أو يعرف مقدارها أو مصادر إيرادتها ومصروفاتها بعد ميزانية الجيش، في حين أن الأزهر الشريف والأوقاف الإسلامية والجمعيات الخيرية مراقبةُ مراقبةً شديدة ولا يوجد جنيه يدخل لها أو يخرج منها إلا ويُعرف من أين جاء وإلى أين يتجه.

ومن استراتيجيات ونهج الكنيسة المصرية للحفاظ على كيانها: (استرداد الشعب الضال)، أي العمل على استعادة الذين يتحولون من الأقباط إلى الإسلام إلى حظيرة الكنيسة مرة أخرى، سواء بطريقة سلمية أو بالجبر والإكراه، كما حدث من قبل في قضايا عديدة فُضحت على مرأى ومسمع الرأي العام المصري والتي بلغت ذروتها قبيل ثورة الخامس والعشرين من يناير في قضية الأخت كاميليا شحاتة كان الله في عونها.

أشهر هذه القضايا كانت قضية الشهيدة وفاء قسطنطين، زوجة الراهب التي أسلمت ثم خطفتها الكنيسة وأودعتها أحد الأديرة وماتت تحت التعذيب، رحمها الله رحمة واسعة. وقد قلّت عمليات اختطاف الكنيسة للمسلمين والمسلمات الجُدد بعد اندلاع ثورة ٢٥ يناير، ولكن مع الانقلاب العسكري في ٣ يوليو ٢٠١٣م وترسُّخ الطغيان مرة أخرى عادت عمليات الاختطاف، وآخرها والتي افتُضح أمرها خطف أسرة كاملة مسلمة، مكونة من أم وثلاثة أبناء، وهي الأخت مريم رضوان وابنتها فاطمة عمر رفاعي (٤ سنوات)، وعائشة عمر رفاعي (عامان ونصف) وعبد الرحمن عمر رفاعي (٦ أشهر).



وقد كان الاختطاف هذه المرة عن طريق عقد صفقة مع النظام المصري، الذي تسلم الأسرة بدوره من السلطات الليبية، ثم من حينها اختفت الأسرة ولم يُعرف مصيرها حتى تسربت تسريبات من جهات متعددة بأن الأسرة في قبضة الكنيسة، وصدر بيان من ثمانية وعشرين من علماء المسلمين يطالب بإظهار الأسرة، وكتب نشطاء سياسيون وحقوقيون عن هذا الأمر.

لقد عُقد في سنوات ما قبل الثورة مؤتمر برعاية الكنيسة المصرية بعنوان: "مؤتمر تثبيت الإيمان"، وهو بدعوة وحث من الأنبا السابق "شنودة"؛ لبحث ظاهرة زيادة أعداد الداخلين في الإسلام من الأقباط، وشارك في هذا المؤتمر الكثير من القساوسة؛ كالأنبا باخوميوس مطران البحيرة، والأنبا دانيال الأسقف العام، والأنبا موسى أسقف الشباب، والقمص أنسطاسي الصموئيلي، وغيرهم.. ومعظمهم أعضاء في المجمع المقدس للكنيسة القبطية الأرثوذكسية. وقد سُجل وسُرب بعض ما دار في هذا المؤتمر، ونُشر الشريط المسجَّل على الإنترنت في مواقع كثيرة (رابط إلكتروني: www.youtube.com/watch?v=PjAOiszyGdg)



في هذا الشريط اعترف القساوسة بأنه لا يخلو حي -بدون استثناء- بالقاهرة من حالات ارتداد "يقصدون بالارتداد: التحول للإسلام"، وأن الدعاوى التي يدعيها النصارى من الاختطافات من قِبل المسلمين والإكراه على الإسلام غير صحيحة، وأن يوميًّا توجد عدة حالات تحوّل للإسلام، وفي بعض الأيام توجد أعداد لا تخطر على بال أحد، وأن الداخلين إلى الإسلام من جميع الأعمار حتى ممن هم في المرحلة الإعدادية والثانوية، وقالوا إن إسلام فرد واحد من النصارى يورث الكهنة إحباطـًا وتعبًا نفسيًّا؛ لشعوره بأنه فقد خروفـًا من رعيته! وأن التحول إلى الإسلام يُعد أخطر مشكلة يواجهها النصارى،

وأن التحول إلى الإسلام لا يقتصر على الأفراد، بل قد تتحول أسـرة بل عائلات بأكملها للإسلام، والأمثلة على ذلك كثيرة جدًّا، وهذا شيء يحزنهم جدًّا، وأنه لابد من وجود مَن يتفرغون لمنع التحول إلى الإسلام في كل مدينة، وأن بعض القساوسة يصل بهم الأمر أنهم يُقبّلون أرجل وأحذية المسلمين الجُدد حتى يعودوا للنصرانية مرة أخرى، وأن مِن المتحولين إلى الإسلام خُدامًا وخادمات سابقين للكنائس، وأنهم لابد أن يُصَلوا كثيرًا من أجل التقليل من حالات التحول إلى الإسلام، وأنه لا ينبغي تعريف الناس بحالات التحول إلى الإسلام، وأنهم يموتون بالبطيء من حالات التحول إلى الإسلام، وأنكروا مرة أخرى أن هناك من يُختطَف سواء رجل أو امرأة، وأن أعداد الداخلين في الإسلام يوميًّا من ٨٠ إلى ٢٠٠ فرد! وأن النصارى سينقرضون بعد ٢٠٠ أو ٣٠٠ سنة.



هذا بعض ما جاء في هذا المؤتمر، وقد أكد صحة هذا الكلام الأنبا مكسيموس في لقاء معه على قناة الجزيرة

(رابط إلكتروني: http://www.youtube.com/watch?v=5zKZxmHH9yc)

وعلى صعيد آخر حذرَ الدكتور النصراني "كمال فريد إسحاق" أستاذ اللغة القبطية بمعهد الدراسات القبطية من انقراض معتنقي النصرانية في مصر، مؤكّدًا أن نسبة النصارى المصريين تقل تدريجيًا بسبب هجرة بعضهم إلي الخارج، واعتناق عدد كبير منهم الإسلام، إضافة إلي ارتفاع معدلات إنجاب المسلمين، وأكّد أن النصارى سينقرضون فعلاً من مصر في زمن أقصاه مائة عام بسبب الهجرة والتحول إلى الإسلام، إضافة إلي أن معدل الإنجاب عند المسيحيين ضعيف علي عكس المسلمين (جريدة المصري اليوم، بتاريخ: السبت ١٢ مايو ٢٠٠٧ م، العدد رقم ١٠٦٣).



كمال فريد إسحاق

إننا نناشد كل مسلم وكل إنسان حر، أن يسعى بكل ما أوتي من قوة لمعرفة مصير السيدة مريم رضوان وأطفالها، فهي قضية إنسانية لا يمكن أن يُختلف فيها، ولا يمكن السكوت عليها، فهذا يُعيدنا إلى القرون الوسطى الكنسية المظلمة التي يبدو أن الكنيسة المصرية لا تستطيع أن تحيا بدون ارتكاب نفس أفعالها من الخطف والتعذيب والحبس، فما أضعف دين يفعل أصحابه هذه الأفعال!

أنقذوا مريم ورضوان وأطفالها من مخالب الكنيسة المصرية!

الحرية لمريم رضـوان وأطفالها من قبضة الكنيسة

